الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم: الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ:

مشروع الاستغراب عند "حسن حنفي"

من إعداد الطالبة:

هني حمري فايزة

تحت إشراف الدكتور:

بن جدية محمد

السنة الجامعية:

2014/2013

الإهداء

إلى حبيبة قلبي ونور ضيائي، إلى التي لم تبخل علي بدعائها و غمرتني بعطفها

إلى والدي العزيز الذي غرس في حب الأخلاق.

إلى زوجي المحترم " زينو " وابنتي العزيزة " كوثر " .

إلى إخوتي وأخواتي وجميع أبنائهم.

إلى جميع الأساتذة الذين دروسنا وعلمونا معنى العلم.

إلى أساتذة جامعة مستغانم، والذين درسنا على أيديهم في قسم " الفلسفة " .

وأخص بالذكر المشرف الدكتور " بن جدية محمد " .

إلى الأستاذ بلعالية ميلود والأستاذ " بوزيد بومدين " .

إلى كل من يحمل في قلبه حب التعبير والتضحية.

كلمة شكر وتقدير

نحمد الله ونشكره على كريم عطائه وجزيل فضله علينا وتيسيره لنا كل السبل

حتى استطعنا إتمام هذا العمل المتواضع

ممالاشك فيه أننا نعيش اليوم أزمة التفوق الحضاري الغربي سياسيا و ثقافيا و اقتصاديا،أي أننا نغوص في دوامة الغرب من خلال ما يسمى بعصر العولمة أو أمركة العالم أو المركزية الأوربية ، الأمر الذي استدعى إلى تأسيس علم جديد يمكننا من دراسة الغرب و التعرف عليه و كيفية التعامل مع مستجداته لحل مشاكلنا الحضارية ، وفي هذا السياق يندرج "علم الاستغراب" الذي اهتم به الدكتور "حسن حنفي" الذي يعتبر من بين المفكرين المعاصرين الذين حاولوا بناء الهوية الحضارية الاسلامية مواجهة بذلك سلبيات الغرب وسيطرته، و إذا عدنا إلى الدراسات السابقة التي اهتمت بالغرب نجدها تبدأ بجهود العلماء المسلمين و ما قاموا به من ترجمة الكتابات اليونانية و دراساتها بالشرح و التحليل و النقد ، فكانت هذه البداية متواضعة في العصر الأموي ثم تطورت في العصر العباسي في عهد المأمون ومن بعده ، أما حديثا فبدايته تكون مع رفاعة الطهطاوي و خير الدين تونسي و بعض العلماء الاتراك والسفراء و الأدباء و المفكرين ،و في العصر الحالي ظهر مستغربون أمثال: طه حسين ،أحمد لطفي السيد ، محمد عابد الجابري و هشام شرابي و غيرهم إلا أن حسن حنفي ارتقى بكل هذه الجهود الى مصاف العلم الذي يقابل و يواجه الاستشراق و المستشرقين الذين اهتموا بدراسة علوم الشرق محاولين زرع بذور الشك في الدين الاسلامي وتشويهه، ومازال هذا الوضع حتى اليوم في حين انتظار تفطن الأنا لمنافسة الآخر و زحزحته من مقامه الحالي واعادة التوازن للثقافة العربية و انهاء أسطورة الغرب.

ونحن نرى أن النص القرآني قد تناول عقائد اليهود والنصارى و أحوالهم بموضوعية مثالية ومن هنا لابد إدراك أن معرفة الغرب بكل صوره أمر ضروري للسمو والتطور الفكري و العلمي وجميع الميادين الأخرى.و لهذا يرى حسن حنفي أن التغيير و التجديد يكون بالانتقال من الذات المدروسة إلى الذات الدارسة في إطار افشاء علم الاستغراب كعلم دقيق يكشف عن مصدر الحضارة الغربية بداية ونهاية كما فعلت هذه الأخيرة مع غيرها عندما حولتها إلى مواضيع للدراسة بكل تحايل وخداع.

و الاستغراب الذي يدعو إليه حسن حنفي لا يهدف الى تدمير الثقافة الغربية و إنما يسعى إلى تحليله و التعرف على نقاط قوته و ضعفه كما أنه محاولة لإيجاد مناعة قوية تحصن هويتنا الحضارية من سلبيات الآخر وحماية مجتمعاتنا من الخلافات التدميرية بعد أن اتخم الاستشراق بالممارسات الأيدولوجية والسيطرة السياسيةوافرازاه للتغريب واغتراب الأنا بهويته

وقيمه من لغة وعادات و تقاليد ،و بهذا نصبح امام إشكالية محورية في صلب الفكر العربي الإسلامي تتمثل فيما يلي :

إلى أي مدى يمكن لمشروع علم الاستغراب أن يفك عقدة النقص بين الشرق و الغرب ؟ أو بمعنى آخر هل يمكن القول أن "علم الاستغراب" كاف لتحقيق نهضةفكرية مواجهةللاستشراق ؟

وللإجابة على هذا الاشكال قمنا بدراسة تحليلية نقدية ،تضمن فصلين ،الفصل الأول يتناول المسار الفكري للدكتور" حسن حنفي" و ذلك بالتطرق إلى حياته و أعماله في المبحث الأول و منهجه وفكره في المبحث الثاني عالجت مشروعه النهضوي في المبحث الثالث أما في الفصل الثاني فقد خصص لدراسة مشروع علم الاستغراب برؤية نقدية و هو بدوره يضم ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول أجريت مقارنة بين الاستغراب و الاستشراق نقدية و في المبحث الثاني تحدثت عن كيفية الانتقال من جدل الأنا و الآخر الى بناء الاستغراب، والمبحث الثالث قمت بذكر آفاق المشروع و رأي المعاصرينفيه.

ورغم الصعوبات التي صادفتها في الجامعات والمكتبات من قلة ان لم نقل ندرة المصادر و المراجع باللغات الاجنبية إلا أنني إهتميت بعرض المفاهيم و الآراء الخاصة بكل فصل بغية ابراز أهمية هذا الموضوع الذي أسعى من خلاله إلى تحقيق هدفين أساسين هما :

الهدف الاول :

هو جعل الخطاب العربي الفلسفي المعاصر موضوعا للتفكير و البحث و النقد خاصة وأن مثل هذه المواضيع مهمشة فيجامعاتنا و معاهدنا، حيث نجد معظم الطلبة يهرعون لاختيار مواضيع غربية من دون معرفة الأزمات التي تعانيها الخطابات العربية و كيفية تحقيق نهضة فكرية معاصرة.

الهدف الثاني :

هو الوقوف أمام إسهام عربي معاصر ،من خلال تناول جهود "حسن حنفي"،فنحن نرى من وجهة نظر معرفية أن أعماله و محاولاته جديرة بالتأمل و الدراسة و من حقنا مناقشة ما قدمه و هذا ليس من باب القبول أو الرفض ،بل انطلاقا من قضية جوهرية تواجه واقعنا الحالي ،أي ما

يمكن من المساهمة في تغيير الاوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية في الوطن العربي.

مفاهيم الدراسة:

الاستغراب–الاستشراق– الأنا – الآخر –الاغتراب– التراث – الواقع – الوافد – الباحث – التجديد.

المبحث الأول: حياته وأعماله

يعد الدكتور حسن حنفي من أبرز المشتغلين في الفكر العربي والفلسفة المعاصرة، كما يتميز بألمعية وتفرد في معاينة الظواهر قلّ نظيرهما.

ولد حنفي في القاهرة عام **1935**، وفيها تعلّم ونشأ وحصل على البكالوريوس عام **1956** ثم سافر الى فرنسا، فنال درجة الدكتوراه من جامعة السربون عام **1966** وذلك برسالتين قام بترجمتها إلى العربية، ونشرهما عام **2006** تحت عنوان "**تأويل الظاهرات**" و"**ظاهريات التأويل**"، وقضى في إعدادهما في السربون عشر سنوات وعند عودته عمل بقسم الفلسفة في القاهرة، حتى وصل إلى درجة أستاذ متفرغ، وعلاوة على إتقانه أصول اللّغة العربية فإنه يجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهو ما مكنّه من العمل كأستاذ زائر في عدد من الجامعات بالعالم، منها جامعة تميل (فيلا دلفيا) عام **1971** حتى **1975**[1]، و في هذه الفترة بدأ يكتب "من العقيدة الى الثورة" التي قدم لها في كتابه "التراث و التجديد" ،عاد الى مصر سنة **1975** و في سنة **1979** أسس مجلة اليسار الاسلامي، ثم غادر مصر منتقلا الى المغرب سنة **1982**.

قام بتأسيس الدراسات العليا في جامعة فاس بالمغرب، سنة **1983** غادر المغرب متجها الى اليبان ،اشتغل أستاذا محاضرا بجامعة الأمم المتحدة حتى سنة **1987**، كما اشتغل أستاذا زائرا بجامعة الامارات العربية ،و هو مفكر و مجدد اهتم كثيرا باعادة قراءة التراث الاسلامي ،فهو مفكر و داعية و متحمس لتجديد الفكر العربي وغربلة التراث ،مفكر مهموم لقضايا الواقع العربي ،يدعو الى نهضة عربية جديدة تجمع بين الوحدة للأمة و الحرية لانسانيتها و العدالة لشعوبها ، له مشروعه الفكري الكبرى "التراث و التجديد" بأجزائه الخمس[2].

و له العديد من الكتب المنشورة و الدراسات المحققة بالعربية و دراسات أخرى بلغات أجنبية نذكر منها : من النقل الى الابداع (**9** مجلدات)،موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ،

1 – موقع الكتروني: Hp///p.share lire.net/ ?/pi/ar.wikipedia.or

2- علي رحمون سحبون ،إشكالية التراث ،والحداثة في الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجا، دراسة تحليلية مقارنة ،شركة الجلال للطباعة- الاسكندرية، الطبعة الأولى:2007،ص 10.

مقدمة في علم الاستغراب و فيشته فيلسوف المقاومة ،في فكرنا المعاصر، و من أهم تلاميذه في مصر:

- نصر حامد أبو زيد **(1943–2010)**.
- علي مبروك **(1960–؟)**.
- كريم صياد **(1191–؟)**. [1]

[1]- المرجع نفسه ص 11

المبحث الثاني: فكره و منهجه

أ)- فكره:

إن قيمة حسن حنفي الفلسفية ليست في فلسفة خاصة هو مؤسسها بل إن قيمته تكمن في الانعطاف الفكري المتميز من خلال كتاباته وأبحاثه ومواقفه المتميّزة بالوجاهة والجرأة على الرغم من الانتقادات التي تعرّض لها، بل زادته الانتقادات قوة ومناعة ويتجلى هذا في مقالاته وكتبه وحواراته وغيرها، التي عالجت مختلف القضايا في الفكر والثقافة والسياسة والحضارة.

إن التعرف على فكر حسن حنفي يكمن في تلمس نقاط الإبداع في منظومته المعرفية والوصول إلى آليات الإبداع عنده بما يخدم الفعل الفلسفي التأسيسي في الفكر العربي وليس مجرّد تكرار لمنتجات الفكر في أية حضارة ما ليس مجرّد عرض النظريات العلمية الخالصة وإنما الفكر الذي يعمل على تحريك الواقع بالنص: « **والتعبير عن الواقع بأسلوب مباشر يفهمه الواقع نفسه ويؤثر فيه وليس بأسلوب العلمية الخالصة فلا يمكن مخاطبة فلا يمكن مخاطبة الجماهير مثلا عن مشاكلها بمعادلاتها وصل إليها الباحث بالرياضة البحتة أو بنظرية المجموعات ... فالعلم دعوة وليس بحثا خالصا**»[1].

و هكذا يكون حسن حنفي قد استمد قوته المعرفية من خلال قدرته على استيعاب التراث العربي الإسلامي والموقف منه و الوافد**(التراث الغربي)** والموقف منه والواقع بكل أبعاده، فالموقف الأوّل جعل منه مفكرا إسلاميا مبدعا والموقف الثاني جعل منه مفكرا غربيا

و الموقف الثالث جعل منه صاحب مشروع حقيقي في السياسة والاجتماع والأخلاق والحياة العامة، وهكذا يكون فكره مرتبط بثلاثية العقل والنقل والواقع وهي إستراتيجية تصنع التّطور والتّجدد لأنها مرتبطة بالعقل وتصنع التاريخ والحضارة لأنها مرتبطة بالنقل والواقع.

" ويؤكد حسن حنفي أن رسالة الانسان في تحقيق المثل الأعلى لا تتحقق تمام التحقق الا في الحياة بل ان المثل الأعلى نفسه لا يتحقق تمام التحقق الا على الأرض و في الواقع"[2]. اذن رسالة المفكر و الفكر هي الكشف عن أسباب تخلف الواقع و معوقات تقدمه من أجل تغييره و تطويره ، فالفكر أساسا هو رفض وتفجير للواقع، و بهذا يصنع الانسان التاريخ ويبني الواقع و يحركه ، ومن

---

[1] - حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، السنة 1983، ص ص 13-14.

2- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997،ص50.

هنا كانت الانطلاقة الفكرية عند حسن حنفي مستمدة من واقع العالم العربي و ما يواجهه من أزمات حضارية ،محاولا بذلك معالجة مضمونه المضطرب من خلال فكره الذي يسعى الى الترابط بين العقل و النقل و الواقع لأن العقل هو الذي يعي ذاته و محيطه اما النقل فنقصد به ماضي الأمة و تراثها و تاريخها الذي يعبر عن هويتها ، و مرتبط بالواقع لأنه المعبر عن حياته بجميع مجالاتها و " **لأن معرفتنا بغايتنا الشخصية و مصيرنا البشري هي الكفيلة وحدها بأن تخلع معنى أو دلالة على معرفتنا بوسائلنا في الفعل من جهة ،و ادراكنا لدورنا الحيوي في السيطرة على الطبيعة من جهة أخرى** "[1]

ومن الأسباب التي أدت الى عدم النهوض برسالة الفكر الذي يعمل على تغيير الواقع و تطويره هو تعدد الآراء و كثرة الكتابة بدون فائدة و " **قد سئم الفكر العربي المعاصر المداخل الأديولوجية للواقع المعاصر. لا فرق بين ليبرالية و قومية و ماركسية في تنظير الواقع و التحديات مستمرة ،و تحرير الارض لم يتم ، وحرية المواطن لم تتحقق ، ووحدة الأمة مازالت بعيدة المنال ، و العدالة الاجتماعية طموح لم يتحقق ، و التنمية المستقلة مجرد أمل ،و الدفاع عن الهوية حلم ،وحشد الناس و تجنيد الجماهير معدوم و صمت الشارع العربي عما يحدث من مذابح في فلسطين مازال مطبقا**"[2]. و مهمة الفكر هنا هي معالجة و تشخيص الأزمات التي يواجهها الواقع و الحرص على الفعل لتغيير الوضع نحو الافضل و هنا يقول حسن حنفي :" **فمتى تتغير مفاهيم عصر النهضة الى مفاهيم الانتفاضة ، المقاومة و الشهادة و الرفض و التمرد و الاعتراض و الثورة ؟ مازالت فلسفتنا ونهضتنا بل و ايديولوجياتنا تقوم على النظر دون العمل، و على المعرفة قبل الفعل**"[3] .

وقد يكون وراء هذا العجز في تشخيص مشكلات المجتمع العربي عدة أسباب تعود الى عدم القدرة بالتنبؤ بتطوراتها وما تؤول اليه مستقبلا . و نقصد هنا تنبؤات المفكر العربي أو توقعاته هو أن يقرر ما سيقع أو ما يحتمل وقوعه في ضوء اتجاهات معينة في حياة المجتمع، قوميا كان أم دوليا ، و من المتفق عليه في علم الاجتماع أن عملية التنبؤ تنطوي على ثلاث عناصر هي الوقائع أو الاتجاهات التي يبنى عليها التنبؤ، و الظروف التي توجد فيها ،و تقدير احتمالات وقوع النتائج و مادياتها ،ويبدو أن أيا من هذه العناصر لا يحظى بتقييم موضوعي في

[1] - زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر ،بدون طبعة وبدون تاريخ ،ص 59.
[2] - حسن حنفي، من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2004، ص 279.
[3] - المصدر نفسه، ص 282.

التنبؤات العربية.....وقد عجز الفكر العربي – من خلال حامليه – عن التنبؤ الدقيق بسبب عدم تقديره عناصر التنبؤ الثلاثة حق قدرها و فيما يخص عنصر المعلومات ،وهي الخامات الازمة لصنع التنبؤات ،لا يسع المرء الا أن يلاحظ أن هذه كثيرا ما تكون ناقصة أو مشوهة ،و كثيرا ما تتخطاها وقائع مباغتة أو تقلبات مفاجئة لا يمكن إخضاعها لتنبؤ، وتمثل بذاتها حالة الاستقرار الدائمة في الحياة العربية ،وهي حالة غالبا ما يصعب التنبؤ في ظلها."[1] و على هذا المنوال يستطيع الفكر أن يحقق رسالته بالتغيير في الواقع نحو الأفضل و الأنجع " **فالفكر أساسا رفض وثورة ،و بالرفض يتغيير الوضع و الفكر الذي لايغير لا يكون فكرا بل يكون تبريرا و ما تم عمله لا يتحول الى فكر بل يصبح جزءا من الواقع و تطوره ،الفكر هو البادئ بالتغيير والعمل على تحقيقه** "[2].

ومن معوقات الفكر رسالته السلطة الذاتية أو الرقابة الداخلية التي يعتقد حسن حنفي أنها من أخطر و أصعب الظواهر في الكتابة الفكرية لعدم تعميرها عن الحقيقة المنشودة في الواقع فالفكر يستدعي الموضوعية في البحث و الدقة و الأمانة العلمية " فرسالة الفكر هي أن يكتب المفكر ما يعتقد، وأن يعبر عما يشعر به ،وأن يتخلى عما تعود عليه من الرقابة الداخلية التي قد يكون قد فرضها على نفسه دون أن يطلب أحد منه ذلك، توخيا للسلامة و إيثار للعافية و إن الرقيب الوحيد الممكن داخليا هو الضمير الذي هو حيات المفكر و شرفه"[3].

كما أن الفكر ليس تابعا لسلطة خارجية كالسلطة الدينية و السياسية، فهو لا يستطيع–المفكر– أن يؤدي دوره الطبيعي المرتجى في المجتمع إلا إذا تمتع بالحرية و الاستقلالية أي التحرر من التبعية الداخلية و الخارجية وترينا تجارب الكثير من أنظمة العالم الثالث السياسية على أن أهم سبب في اخفاق هذه الأنظمة في انجاز تحرر حقيقي من التبعية الفكرية الخارجية كان عجزها عن توفير الظروف اللازمة لإقامة استقلالية فكرية داخلها، أو حيلولتها دون ذلك، و بذلك لم

1- صالح جواد كاظم و آخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقشات لندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، الطبعة الاولى سنة1995، الطبعة الثانية سنة 1998،بيروت، ص137

2 - حسن حنفي، قضايا معاصرة، في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة1983، ص 18

3 - المصدر نفسه، ص23

يوجد البديل العلمي حيلولتها من التبعية الفكرية الخارجية ،وطغى على السطح بديل هزيل زائف سرعان ما تبدد بسقوط تلك الأنظمة".[1]

والفكر السياسي عند "حسن حنفي" لا يظهر في كتاب خاص أو مقال واحد أو محاورة واحدة بل أن مساهمته السياسية كانت مشتتة بين مؤلفاته و مشاريعه الحضارية و في مفهوم السياسية يقول:" **السياسة لفظ عام بمعنى أيضا الأخلاق الإجتماعية ،سياسة الأصحاب كي يقول الإخوان أو توجيه النصائح للملوك .فالقوانين السياسية هي المعايير الأخلاقية ،و الغاية منها نفعية ولا فرق بين الطبقات الاخلاقية و الطبقات الإجتماعية و الطبقات السياسية**"[2] .إن السياسة ترتبط بالأخلاق الإجتماعية و هذه العلاقة الثلاثية داخل التاريخ تعبر عن راهنية الحياة الإنسانية و عقلانيتها و هذا ما يعبر عنه بالحكمة العملية " التي هي أكثر الأمور ارتباطا بحياة الأفراد ،لما لها من علاقة مباشرة بحياتهم اليومية، و الحكمة العملية تنحل إلى قسمين عند أرسطو: الأخلاق و السياسة، أما في عصرنا فينظر إليها من خلال ثلاث مواطن: سياسة ،أخلاق ،عمل ومن خلال هذه التقاسيم حاول الأستاذ "حنفي" أن يبرهن للمتفلسف العربي أن طريقة تعامل السلف مع العلوم المدنية يجلي قيما فضلى للقارئ ،إنه تعامل الواقع مع قبل النص ،و الضروري قبل الكمالي ،و الحياتي قبل الأخروي"[3]،و لذلك ارتباط السياسة بالأخلاق يعني الإدارة و حسن التدبير فالسياسة أربعة أحكام السياسة مع النفس والسياسة مع و السياسة مع البدن و مع الآخرين و مع الله .اما من الناحية الاجتماعية فتظهر الصلة مع التربية و التعليم و الدين لإنتاج تربية سياسية و" **تحليل السياسة في صلتها بالحكمة العملية و هي جزء منها لاستخراج الغايات القصوى من السياسة المدنية. والسياسة في تراثنا مقترنة أساسا بمراميها الكبرى و المتمثلة في تسوية الاعوجاج وإصلاح ما فسد في شبكة العلاقات الاجتماعية، السماح لأهل الفكر و العلم من ممارسة التجديد**

1- صالح جواد كاظم و آخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقشات لندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، الطبعة الاولى سنة1995، الطبعة الثانية سنة 1998،بيروت،ص137.
2- حسن حنفي ،من النقل إلى الابداع، المجلد الثالث،ج3، دار قباء، القاهرة، مصر، الطبعة سنة 2002،ص339.
3- مجموعة من الاساتذة ، حروف الحكمة العلمية، قراءات تقديم حسن حنفي،رياض العلوم، الجزائر، الطبعة الأولى سنة2005،ص21

ووضع خطط ،فتح مجال للعمل و الاجتهاد للأخيار والأطهار، حفظ الضروريات و حفظ العمل والحرية و الكرامة و السعادة للجميع."[1]

ولأجل التغيير و النهوض الفكري السياسي ، الأخلاقي ،و الإجتماعي لابد من وعي القديم ووعي الوافد لأن الأسلاف درسوا الآخر وتعرفوا ثقافته وفكره و تاريخه شرط التقدم الفكري و الفلسفي و هذا ما يسعى إليه " حسن حنفي" من خلال "**بناء القديم كله ليكون قادرا على مواجهة تحديات العصر و الانتقال من الإصلاح إلى النهضة و ذلك بالاعتماد على سلطة العقل و اجتهاد المحدثين ،فالتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطى من نظرية عملية في تفسير الواقع و العمل على تطويره ،و يمكن توظيف التراث ليكون نظرية للعمل و موجها للسلوك ،و ذخيرة قومية يمكن اكتشافها و استغلالها و استثمارها من أجل إعادة بناء إنسانيته و علاقته بالأرض و هما حجر العثرة اللتان تتحطم عليهما كل جهود البلاد النامية في التطور و التنمية ....فالنهضة سابقة على التنمية و شرط لها و القفز إلى التنمية هو تحقيق لمظاهر التقدم دون مضمونه و شرطه"**[2].

يولي "حسن حنفي" أهمية كبيرة للفكر الفلسفي بصفة عامة و الفلسفة العربية بصفة خاصة، بحيث أن مهمة الفلسفة تظهر من خلال الموقف الحضاري للمفكر و في هذا الصدد يقول: "**الفلسفة مشروع قومي حضاري و ليست مجرد مادة علمية مقررة لها كتاب محفوظ و استاذ ملقن و طالب يتذكر و شهادة تعطى، و وظيفة تؤخذ لحل قضية المعش وكسب الوقت وهي ليست مصطلحات مهنية و مذاهب مستغلقه يشعر الأستاذ أمامها بالزهو والطالب بالرهبة والقراء بالعظمة، الفلسفة نبع من موقف حضاري محدد تساهم في صنع نهضة وفي تحديد معالم مرحلة تاريخية يمر بها مجتمع ما، هي القدرة على التعرف على اللحظة الحالية و قراءة روح العصر و الاحساس بالموقف الحضاري و إلا كانت لا زمان ولا مكان**"[3]. فالفلسفة ترتبط بالواقع لمواجهة تحدياته و مشاكله و عند انفصاله عنه تغيب فلسفة التاريخ لأن " **الفلسفة لخالدة في عقل الفيلسوف و تحويل العالم إلى المثل الأعلى ،و المجتمع إلى مدينة فاضلة جعل الفكر خارج**

1-جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص45.

2- الدين والتراث والثورة في فكر حسن حنفي، تقديم و حوار قيس خزعل جواد، مجلة الوحدة، تصدر عن الفكر القومي للثقافة العربية،عدد06-مارس 1985،ص.125.

3- حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة1985،الطبعة الثانية سنة 1987،ص ص 42،41.

التاريخ ،من وضع الذهن حقيقة مطلقة خارج العالم خلو بلا زمان ،و التاريخ الإنساني لا ينشأ إلا في مكان و زمان مع البشر و التدافع في الأرض"[1] .

وبما أن التاريخ لا يخرج عن ثنائية الزمان و المكان ، فالفلسفة كذلك مرتبطة بالتاريخ وبصيرورته وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في دراسته لتاريخ العمران البشري في إطار فلسفة التاريخ و البحث التاريخي بالنسبة لحضارة البدو و المدن .و الوعي بتخلف الحضارة قد يكون سبب تقدمها وازدهارها،" **إن وعي واقعة الانهيار هو شرط الدخول في دور جديد يدعي أبناؤه إلى تخطي الواقعة وإلى السير في طريق التقدم ونحو الأفضل"[2]**، وهذا ما يعمل "حسن حنفي" على تأكيده على أن حركة الشعوب تتأثر بفلسفة التاريخ و القدرة على فهم التراث وبنائه .

وبهذا يريد "حسن حنفي" من "الفلسفة العربية اليوم أو من أرباب الفلسفة فيها ،تحقيق الموازنة بين التراث و المعاصرة، و بين الفكر و الواقع ،ولا يتم هذا إلا بإستيعاب التراث القديم بأجمعه و الإلمام بالتراث الغربي لكي نعرف كيف مسخ الإغتراب هويتنا ،كما ندرك كيف يتوجب علينا أن نجعل من الواقع المعاش المصدر الوحيد للتنظير العقلي بتجاوز الأزمة الحضارية ،وللخروج من هذه الإشكالية الناشئة عن أزمة (التراث والمعاصرة)و (الفكر و الواقع) يقترح علينا حنفي حلا عمليا (عقلانيا) يقوم على الانتقاء أو الاختيار الواعي فهو وسيلتنا للتجاوز هذه الأزمة و يقصد بالانتقاء :"عملية عقلية متوازنة، تهدف إلى إعادة بناء الفكر العربي"[3] و على هذا النحو يقوم حسن حنفي بدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية و منتجاتها ،كما أنه درس الحضارات الشرقية و الغربية القديمة و الحديثة و المعاصرة، مستعملا منهجية النقد المزدوج للأنا وللآخر ضمن رؤية فلسفية جديدة للتاريخ العربي و الإسلامي فالفيلسوف هو الذي يربط موقفه بالتراث القديم و التراث الغربي و الواقع. وهنا يقول حنفي:" **الفيلسوف هو صاحب الموقف الحضاري الذي يأخذ موقفا من التراث القديم و يأخذ موقفا نقديا من الموروث حتى يزحزح الغطاء النظري القديم من أجل تنظير آخر. آخذا العقل و الطبيعة كمحورين في العلم الجديد الفيلسوف كل من يأخذ موقفا من التراث الغربي رادا إياه إلى داخل حدوده الطبيعية ،مجمعا إياه بعد أن ظهرت على امتداد مائتي عام خطورة**

1 - حسن حنفي ،من النقل إلى الابداع، المجلد الثالث،ج3، دار قباء، القاهرة، مصر، الطبعة سنة 2002،ص 367.

2- فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الاسلام، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الثانية سنة 1981،ص62

3 - أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997،ص259.

وضع نقل جديد فوق نقل قديم ،إذا ازداد العقل المعصر ثقلا فوق ثقل و اصبح لا فرق هناك بين من يقول : قال كارل ماركس ،أوبين من يقول :قال الله و الرسول ومن يقول قال :ديكارت و كانط "[1] و عليه " **تحولت ساحة كبيرة من ثقافتنا المعاصرة إلى وكالات حضارية، مذاهب عربية اشتراكية ،ماركسية لبرالية ،و جودته و ضد شخصانية قومية.....حتى لم يعد احدا قادر على أن يكون مفكرا أو عالما أو فنانا".**[2]

ويظهر الملمح العام لفكر حسن حنفي من تناوله لمفاهيم كبرى ،كمفهوم العقل و مقولة النقل و مفهوم الواقع، و قراءة هذه المفاهيم مع بعضها البعض داخل المشروع يدل بوضوح على ورودها بمدلولات متعددة و متباينة حسب سياقتها و مصادرها ،أخذت نصيبها من العرض الموضوعي و التحليل في مستوى أعلى من الدقة والعمق و الكفاية ،لكنها تبقى تعبر دوما عن مواقف صاحبها الفكرية و الفلسفية والإيديولوجية و السياسية و يغلب عليها الطابع التاريخي أحيانا ،والطابع النظري التجريدي في أحيان أخرى . رغم أن المشروع يعطي الأولية للواقع دون غيره[3].

ب) منهجه:

يتطلب البحث في أي مجال من المجالات، منهج يتبعه الباحث فالمنهج هو الوسيلة المتبعة لتحقيق غاية وهدفا وهو بذلك طريقة للمعرفة، وطرق المعرفة في الفكر العربي أخذت أبعادا مختلفة لتبنيها آليا ومناهج متنوعة تبناها العديد من تيارات الفكر العربي المعاصر ولكن رغم تعدد هذه التيارات والتوجهات المعرفية إلا أنها تلتف حول قضية واحدة وهي كيفية القضاء على التخلف وتحقيق التقدم. وفي هذا السياق وجب معرفة ما هي منطقات حسن حنفي والمنهج الذي اتبعه في مشروعه الفكري؟

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة1985،الطبعة الثانية سنة 1987،ص 41

2 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر الطبعة الثانية سنة2000 ص28

3 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص ص 29، 30 .

"ينطلق حسن حنفي في البداية من الظواهر العلمية لتفسير الدين، وفق التطور الحاصل وبالتفاف حاد، يعود ويطلب إرجاع العلوم الإنسانية إلى الوحي، وتطرح بهذا قضية التراث أو حضور التراث كمفهوم نهضوي في المعترك الأيديولوجي العربي المعاصر الذي يحكمه التناقض بين مكوناته الذاتية ومكوناته الموضوعية داخل الوعي العربي الراهن، ومثل هذا الموقف لا يخلو من التناقض، بين تمثل حضوره الأيديولوجي على الوعي العربي وانغماس هذا الأخير فيه وبين بعده الموضوعي التاريخي في اللحظة المعاصرة التي يحلم الوعي هذا بالانخراط الواعي فيها يعني هذا أنه تراث غير معاصر لنفسه، غير معاصر لأهله"[1].

هذا و يرفض حسن حنفي التي وقع فيها سابقيه باستعمالهم منهجا مخالفا لموضوع البحث ،كأن يستخدموا المنهج المادي على الظواهر الميتافزيقية كالوجود مثلا و سماه خطأ "النعرة العلمية" و هذا ما طبع دراسات المستشرقين، " فالباحث المستشرق إما أن يرى الظاهرة موضوع الدراسة فيبعد تفسيرها الحقيقي و بعطي بدلا من ذلك تفسيرا مرتبطا بأبنيته النظرية و صوره الفكرية ، و في الحالتين يسقط الباحث صوره الذهنية و أبنيته النظرية على بحثه فتغيب الموضوعية."[2]

ما يفهم من هذا كله أن تحويل الظواهر الفكرية إلى ظواهر مادية خالصة أثناء الدراسة ببعدها عن الحقيقة الموضوعية المثالية و الخطأ الأكبر أن جميع المستشرقين ينكرون الوحي الاسلامي و من المستحيل بالنسبة إليهم ارجاع الظواهر التي يدرسونه الى أصول في الكتاب و السنة عن تعود او عن اعتقاد و قناعة و في هذا الصدد يقول حسن حنفي:" **إن المستشرق يعرف في قرار نفسه أن التفسير الوحيد للظاهرة هو ارجاعها إلى أصولها في الوحي، و مع ذلك يدير ظهره ،و يحاول إيجاد أصول تاريخية و اجتماعية لها.لا يعني ذلك توجيه نداء للباحثين لتراثنا القديم أن يؤمنوا أولا بالوحي والاسلامي ثم يبحثوا ثانية في تراثنا القديم ، بل يعني أن الباحث يمكنه أن يصف نشأة التراث و تطوره و كيفية خروجه من مصادره الأولى.**"[3]

---

[1] - د. أحمد عبد الحليم عطية، جدل لأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص .132

2 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها،ص.144

3– حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت، ص72.

وعليه فإن الدارس للفكر العربي الاسلامي في نظر –حسن حنفي– سيحتار في اختيار المنهج الأفضل للوصول إلى الغاية و الحقيقة الموضوعية ،خاصة أن اشكالية المنهج تزداد تأزما و " **لعل من أبجديات أزمة المنهج في الفكر العربي الاسلامي اهتزاز الأدوات المستخدمة ،و هشاشة القوالب المستعارة، و يعكس هذا كله طغيان الضبابية في المفاهيم السائدة ،و عدم الدقة في المصطلحات المتداولة، فنحن لم نتفق بعد حتى على المظلة التي ندرس تحتها، ونعني بها الفكر العربي الإسلامي.**"[1]

وبهذا يرفض "حسن حنفي" كل مناهج المستشرقين و دراساتهم بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في حل أزمة المناهج الفكر العربي الاسلامي و منه " **لا يمكن استعمالها كمصادر علمية أو كبراهين يمكن الاستدلال بها و الاعتماد عليها قبل تمحيصها أولا و التحقق من صدقها خاصة لما ظهرت معظم المناهج الاستشراقية في القرن التاسع عشر الأروبي فقد سادها المذهب الوضعي السائد ،فخرجت وضعية تاريخية الى حد أقصى، و استقر المشرق في القرن العشرين على هذا المذهب و لم يفارقه و أصبح متخلفا عن زميله الباحث الأروبي في العلوم الإنسانية.**"[2]

ويذكر حسن حنفي الخطأ الثاني المتمثل في" النزعة الخطابية " الذي سيطر على أغلب الدراسات التي تعطي الأولوية للوحي على التاريخ ،و لكن بطريقة ساذجة يطغى عليها نوع من العاطفة و الانفعال (الجانب الوجداني) فهي بذلك تعاني من تصور عقلي وهي بذلك مضادة للنزعة العلمية ،فهي ناتجة عنى ضعف كبير في التكوين النظري للباحث " **فهو يعبر عن المستوى الثقافي الحالي من تطور الحضارة و لكنه متخلف عن المستوى الثقافي للتراث القديم الذي استطاع دفع المشاكل و إيجاد حلول عقلانية لها ، وقد بلغ التعقيل في تراثنا القديم درجه أن التراث كله أصبح نظرية في العقل** ".[3]

وعلى هذا الأساس فقد استعملت الدراسات الخطابية عدة مناهج مختلفة على الخطابة التي لا ترتقي في نظر حسن حنفي إلى مستوى المناهج المحكمة ،و هو يرى أنها تتميز بالتكرار فقط وهي مجرد تحصيل حاصل و بهذا كانت مجرد مهارات و جدال لأن :" **التكرار هو سبب الأزمة الواقعة**

1 – عبد الرزاق قسوم، مدارس الفكر العربي الاسلامي المعاصر، تأملات في المنطق و المصب، عالم الكتب للنشر، الطبعة الأولى سنة1997، المملكة العربية السعودية ،ص16.

2 - حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت، ص174.

3 – المصدر نفسه، ص 97

في الفلسفة الاسلامية عتد المشتغلين بها، فماذا يقول الباحث بعد شرح نظريات أخرى ،أو هكذا يبدون ، فيتحول التدريس إذن إلى شرح على شرح، ويقع الفكر في شرح على متون ثم يضيع الفكر و تشتد الأزمة عندما ينتهي الشرح ثم يتساءل السامع :و لكن ما صلة هذا كله بالفلسفة الاسلامية خاصة إذا كان على دراية بالفلسفة اليونانية والحديثة والمعاصرة، حيث يرى السامع فبها المشاكل المعروضة والحلول المقترحة على مستوى انساني و بلغة العقل تلك هي إذن مهمة الباحث المعاصر فب أخذ المواقف بالنسبة للقديم وعرض ما قاله القدماء على حاجات العصر ومتطلباته."[1]

ينبغي أن ندرك إذن أن الاستهلاك و التكرار للمناهج والنظريات و إعادة شرحها كافية لتحقيق أزمة استيعاب التراث ولا يؤدي ذلك إلى تحقيق نهضة شاملة تعيد للفكر العربي الشعور بالكرامة و الفعالية الانسانية و هذا يعني أن مسألة فهم التراث قائم على أسس عقلية نقدية تحاول فهم الماضي و تحديده ، و" **منهج الدفاع عن التراث الذي ظهرت معه النزعة الخطابية هو في الحقيقة مجرد خلط بين التفكير و التبرير ،لأنه يدافع غن الموضوعات دون أن يضعها موضع تساؤل، وبالتالي لا يحاول معرفة أي بناء تطوري لها، فتبقى بدون أسس عقلية تقوم عليها و إنما تقوم على أسس خاطئة في الفهم و مناهج خاطئة في التفسير يتحول معها الدفاع إلى غاية في ذاته يقبل الماضي كما هو بلا نقد أو تمحيص."[2]**

يؤكد "حسن حنفي" على أن الدفاع الذي يفتقر إلى النقد و التجديد هو هدم للعقل و ضياع للواقع ،و سيادة للانفعال و هذا استمرار في التعصب و التخلف النفسي وهكذا يتحول الدفاع إلى خيانة و نفاق ،" **فإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كيف تقول؟ دون أن تعرف ماذا تقول؟ فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف" ماذا تقول" دون ان تعرف كيف تقول؟ و التراث و التجديد لتفادي الخطأين معا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول ؟ وهو التراث و كيف يقول ؟و هو التجديد"[3].**

ومن هذا المنظور يصل "حنفي" في تحليلاته لأزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية هي أن الأزمة لا تكمن في الموضوعات وإنما في المدخل إليها و كيفية استيعابها وفهمها حيث يقول:" **إن التحدي الآن ليس هو الأزمة و إنما المدخل إليها ليس القضية إنما طريقة التعامل**

1 - حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت،ص98

2 – المصدر نفسه، ص.100

3- المصدر نفسه، ص .105

معها و معالجتها، فالأزمة في المنهج قبل أن تكون في الموضوع ، فالموضوع واحد منذ مائتي عام . لما تخلف المسلمون و تقدم غيرهم كما سأل شكيب أرسلان، أسباب التخلف و شروط النهضة كما عرض مالك بن نبي ،و الأزمة في كيفية المقاربة ،التشخيص و الحل، الوصف و المخرج ،الإدراك و التغيير."[1]

ومن خلال هذا الفض الحاد للمناهج السابقة ،يرى "حسن حنفي" أن المنهج المناسب و الملائم في فهم التراث و التجديد هو المنهج الضواهري الفينومينولوجي ،و هنا وجب أن نتوقف قليلا أمام هذا المنهج بهدف مقارنته مع المنهج الذي سلكه "حسن حنفي" .

"إن الفينومينولوجيا تتعلق عموما بدراسة وصفته أولية للمعطى الظاهراتي ، لأجل تشكيل صورة مجرة، وهذه الوصفية ترتبط بضرورة تحديد الشروط العامة للظاهرة باعتبارها نفسها تمثل بعدا جوهريا للكائن"[2].

إن الهدف الذي يعلنه "هوسرل" من فلسفته هو إقامة دعامة مطلقة اليقين تقام على أساسها كل العلوم كافة والفلسفة خاصة وهو يرى" **أن المصدر الأعلى لكل إثبات عقلي هو الرؤيا أو حسب تعبيره هو الوعي المناخ الأصلي ينبغي الاتجاه إلى الأشياء ذاتها هذه هي القاعدة الأولى والأساسية في المنهج الفينومينولوجي. وكلمة شيء تعني هنا "المعطى" أي ما نراه أمام وعينا هذا يسمى" ظاهرة" لأنه" يظهر" أمام الوعي ولا تدل كلمة شيء ، على أن هناك شيئا مجهولا يوجد خلف الظاهرة"**[3].

وتتمثل الغاية من المنهج الفينومينولوجي إدراك العلاقة بين الذات والموضوع ،والتي تحدد وفق قصديه الذات لأن المناهج التقليدية لم تعط للموضوع المدرك القيمة التي يحتلها كطرف في حقل المعرفة، ولهذه الضرورة انتشرت الفينومينولوجيا في الأوساط الفكرية المعاصرة، وقد اتخذ حسن حنفي من الفينومينولوجيا منهجا له لتحليل الخبرات في الماضي والحاضر حتى يصل إلى تطويه محكمة في التفسير كما أنها– الفينومينولوجيا– تكمن العقل من تجاوز الأشياء المادية إلى ظواهر خالصة تبدو في الشعور وتكون مجالا للإدراك الحسي و المعرفة اليقينية.

وتمسك "حسن حنفي "بالأصول الفينومينولوجية يظهر من خلال قوله" **الصور حقائق تجمع بين الذات والموضوع، بين الرائي والمرئي، فلا تضحي بالرائي في سبيل المرئي كما تفعل الوضعية،**

1 - حسن حنفي، حصار الزمن، الحاضر (اشكالات)، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004 ،القاهرة ،ص56.
2 - بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ص 542.
3 – حسن حنفي، حصار الزمن، إشكالات الحاضر، الدار العربية للعلوم، ،الطبعة الأولى سنة2007، بيروت لبنان، ص265.

ولا بالمرئي ولا تشعب،تربط ولا تفكك حتى يستطيع الإنسان أن يعيش في عالم واحد قادر على التعامل معه بدل أن يعيش في عالمين"[1] .

وعليه كان المنهج الفينومينولوجي هو منهج البحث في فكر "حسن حنفي" صاحب مشروع "التراث والتجديد" من خلال إعتماده على و الوعي التاريخي والوعي العملي في دراسة الوافد الماضي والحاضر وللوصول إلى نظرية لاهي مثالية فقط و لا هي واقعية فقط بل هي متوازنة تأخذ كل جوانب الحياة في الإعتبار.

فمهمته الباحث هي تحويل الموضوع من أساسه المادي كتاريخ أو حادثة أو واقعة أو فرقة إلى أساسه الفكري الشعوري، تماما كما يفعل الظواهري في إيقاف الحكم وتعليقه، فالباحث في التراث يسير على المنهج نفسه، وذلك بوضع الحوادث التاريخية خارج دائرة الاهتمام ورؤية ماهية الفكر ونشأته في الشعور وهذه مهمة الشارح أيضا و" **الشارح هو تحويل النص إلى نظرية خالصة في العقل نصرف النظر عن بيئته الثغاء الأولى التي نشأ فيها وبالتالي..... يصبح جلبا نداته ويتحول: إلى حكمة بعد أن كان تاريخا، المطلوب إذن، تحويل الفكر التاريخي إلى نظرية خالصة في العقل**"[2]. إضافة إلى المنهج الظواهري يعتمد "حسن حنفي" على المنهج التأويلي الذي مارسه القدماء أمثال ابن سينا و ابن رشد و علماء أصول الفقه و غيرهم إلا أنه ازدهر و تطور الى مصاف " علم النص " أو الهيرمينوطيقا ، فيربط "حسن حنفي " بين الفينومينولوجيا و الهيرمينوطيقا في إطار التأويل الذي يحقق الانسجام بين الذات و الموضوع و" ينصب على ايضاح مقاطع غامضة و غير مستوعبة من النصوص لأن المعنى الجلي و الواضح لا يحتاج الى تفسير أو تأويل، و قد يحتاج الى تأويل ليكون معقولا "[3]، وبالتالي يبدو أن وظيفة التأويل لا يمكن الاستغناء عنها في انكشاف المعنى و إيضاحه، "فالتأويل هو مجرد إيضاح أو

إنارة لما تم تعتيمه في الفهم ،فالفهم ليس مجرد قبض بديهي ومعيد لدلالة النص و إنما يتعثر أمام الوضعيات الغامضة و المبهمة من القصدية الكامنة في النص، فهو يستعين بالتأويل من أجل رفع

1- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الطاهرتية، ط 1 ، 1984، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ص 77 .

2- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين ،مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص 142.

3 – عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهيرمينوطيقي، ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2012، ص .07

الحجب و الكثافات التي تحول دون إدراكه لذاته غير الغيرية المتجسدة في النص"[1]، و الهيرمينوطيقا التي سميت في بعض الكتابات ب"علم التأويل" أو "التأويلية" الذي يبحث عن تفسير النص و فهمه و هدف الهيرمينوطيقا هو" تجاوز أزمة المعنى التي يعاني منها الانسان، من خلال إقامة تأويل على أسس صحيحة ،بالتركيز على تعدد القراءات بدل القراءة الواحدة .من أجل الوصول الى المعنى العميق و الخفي بدل السطحي"[2].

ونظرا لأهمية التأويل الهيرمينوطيقي في تأويل النص و وتأويل الذا يقول" حسن حنفي" :" **ان الغاية الباطنية من التأويل هو التأكيد على وحدة الذات و الموضوع من خلال النص الذي يصور الموضوع من خلال المؤلف ،و يفهمه الوعي من خلال القارئ سواء كان الموضوع هو الله والمعالي أو الطبيعة و العالم أو الانسان و المجتمع ،التأويل هو حوار بين المؤلف و القارئ حتى لو اختفى الموضوع و أصبح التأويل مجرد حوار بين الذوات**"[3].

وهكذا يستخدم "حسن حنفي " عدة مناهج في مشاريعه الفلسفية و الفكرية مستمدة بعضها من التراث القديم و بعضها من الثقافة المعاصرة الغربية "ففي الجبهة الأولى و هي أضخم و أكثر تفصيلا وأعمق في التاريخ منهجها هو إعادة البناء من خلال قراءة المضمون و تحليله و نقده وإعادة صياغته و بناءه وفق ما يتطلبه العصر ليصبح جاهزا للاستعمال في ظروف ثقيلة و ليس في الظروف التي نشأ و عمل فيها ،و المنهج المتبع في الجبهة الثانية ،جبهة التراث الغربي من خلال علم الاستغراب الذي يقوم بنقد و تحليل الوعي الأوروبي في مصادره و بدايته ونهايته باستخدام المناهج الواردة في التراث القديم و في التراث الغربي الحديث و المعاصر التي تضع الغرب في مكانه الطبيعي و تمكن الشعوب المقهورة من الانطلاق نحو الحضارة و بناء التاريخ

1 – محمد شوقي الزين، الازاحة و الاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الاولى سنة 2008، ص .59

2 – كيحل مصطفى ، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى 2011

3 - حسن حنفي، حصار الزمن، الحاضر (اشكالات)، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004 ،القاهرة ،ص.78

ونظرية التفسير تبنى في المشروع باستخدام منهج تحليل الخبرات الذي يكون وحده الكفيل بالتنظير للواقع المباشر ولا سبيل لتغيير الواقع و تحديده في غياب نظرية التفسير المحكمة."[1]

1 -جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432هـ،ص ص180،175.

المبحث الثالث:مشروعه النهضوي:

"يبدأ الدكتور حسن حنفي مشروعه النهضوي من موقع الإصلاح الديني وموقع هذا الأخير بالنسبة للنهضة العلمية، معتبرا بأن مهمته الإصلاح الديني مهمته سلبية لا تتعدى نقد صور التفكير الديني التقليدي(**القضاء والقدر**) ونقد أنماط السلوك الديني عند المؤمنين(**التقليد مثلا**)، أي أن الإصلاح الديني يقوم بمهمة تصفية الماضي وتحديد التراث القديم ولكنه لا يضع أسس نهضة فكرية شاملة لإعادة بناء التفكير الديني نفسه وتحويله إلى نظرية علمية فالإصلاح الديني يوقظ، ولكن النهضة العلمية تؤسس لذلك قام الإصلاح الديني على أسس انفعالية، بينما قامت النهضة على أسس عقلية، فيرى بأن الأفغاني قد أثار النفوس أيقضها، ولكن هذه اليقظة لم تتحول إلى نظرية عقلية لذلك كان تأيدها وقتيا لم يستمر ولم تتعد مرحلة الإثارة عند تلاميذه."[1]

ويفسر" حسن حنفي" التصدع القائم في الساحة العربية بعدم وجود مراجعة نقدية لتراثنا بشكل جذري يسمح بايجاد مناعة قوية ضد الزخم الغربي " **فالاصلاح الديني ظل أشعريا في أسسه النظرية و لم الى الاعتزال ،و كان النمط الغربي له الصناعة و القوة و النظم البرلمانية نمطا للتحديث ،و التيار الليبيرالي أيضا نشأ على منوال الغرب و بناء على الإعجاب بمبادئ الثورة الفرنسية ،و لكنه كان مجتث الجذور لا يؤصل مفاهيم الحرية و المساواة من الداخل أي في تراث الأمة ،فتحولت الليبيرالية أيدولوجية الطريقة الحاكمة و ظل الشعب في جهله و تخلفه التاريخيين أما التيار العلماني فنشأ أيضا مجتث الجذور لا أصول له و لا منابت، مقلدا للغرب ،فسرعان ما أنتهي الى التغريب و الانعزال عن الوافد الرئيسي التاريخي في ثقافة الجماهير.**"[2]

وعندئذ تكون التيارات الثلاث الاصلاحية و الليبرالية و العلمانية في نظر "حسن حنفي" قد نهضت على أن الغرب هو نموذج التحديث فوقعت في التقليد الذي أبعدها عن واقعها وفي هذا السياق اندرج كتابه "التراث و التجديد" الذي يهدف من خلاله الى تأسيس نظريته الفكرية الحضارية في ظل الأزمة التي تتخبط فيها الأمة العربية الاسلامية و هي أزمة تتميز بالعمق و التعقيد و تزداد تفاقما من وقت لآخر في وقت يزداد فيه الغرب تطورا و ازدهارا، وأمتنا تراثية تاريخية ،لا

1 - أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين)، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص115.

2 – حسن حنفي، الدين و التحرر الثقافي، القاهرة، مكتبة مدبولي ،سنة1988،ص .211

يمكنها أن تعبش خارج موروثها الثقافي و الحضاري كما لا يمكنها أن تنعزل عما يجري في عصرها .

لقد لاحظ" حسن حنفي" أن "كل العلاقة بين القديم و الجديد أي بين الأصالة والمعاصرة هي التحدي الكبير والأعظم بالنسبة لكل فرق الأمة لذلك يجد أن حل هذه القضية حلا صحيحا يوصلنا إلى تحقيق مشروع النهضة ،لذلك يقع على عاتقه مهمة تصفية الحساب مع الماضي ،وعلى يديه سيولد الحل الصحيح لأن الذين سبقوه لم يستطيعوا أن يأتوا بالفهم والحل الناجعين لقضية الأصالة والمعاصرة لأنهم ابتدئوا بالخطأ والخطأ المميت برأيه، تنكرهم للوحي لأنهم اعتبروه نتاجا للتاريخ ،فإن أصحاب التراث دعاه الدعوة إلى الأصل على الرغم من بدايتهم الصحيحة وذلك عندما أعطوا الأولوية للوحي على التاريخ فإنهم على العموم وقعوا ضحية الخطابية والعاطفية والقصور النظري، ولم يسلكوا طريق مقارعة الحجة[1]".

وبهذا يرى "حسن حنفي" " **أن الأصالة هي الفكر على مستوى التاريخ ،و المعاصرة هي الواقع على مستوى السلوك ،الأصالة أساس الفكر و المعاصرة احساس بالواقع، والمشكلتان وجهتان لمنطق واحد و هو منطق التجديد الذي تعرضه الأصالة و المعاصرة على المستوى الأفقي ، و الذي يعرضه الفكر و الواقع على المستوى الرأسي ومن ثم تصبح الأصالة و المعاصرة منطق الإلتزام بقضايا العصر مع أكبر ضمان ممكن من حيث إمكانيات الحل و التطبيق.**"[2]

ومفهوم الأصالة عند "حسن حنفي" لا يعني القديم وحده بل هو أداة لوعي الواقع بكل أبعاده ،لأن هذا الأخير هو جزء من التاريخ و " **التاريخ جزء من الواقع لأنه مازال يعمل كرواسب في أعماق الأفراد ، ليست الأصالة هي بحث عن النوعية بأي ثمن بل رؤية صائبة للواقع باعتباره مرحلة من مراحل التاريخ ،الأصالة هي إتحاد بالواقع نفسه و إعادة تفسير للقديم ،كله لخدمة هذا الواقع و من ثم تصبح الأصالة مرافدة للمعاصرة ،و لكنها معاصرة أعمق جذور في التاريخ و أكثر تحقيقا لوحدة الشخصية الوطنية**"[3].

1- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين)، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص ص 115، 116.

2 - حسن حنفي، قضايا معاصرة، في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة1983، ص 50.

3 – المصدر نفسه، ص 51.

يؤكد "حسن حنفي" أن المعاصرة هي " **إعطاء الأولوية للواقع على الفكر ،حتى يصبح الفكر هو رؤية هذا الواقع نفسه ،و يتم ذلك في قراءة النصوص الدينية أو التراث القديم ،فإذا كانت الأصالة هي تحويل الفكر إلى الواقع فإن المعاصرة هي تحويل الواقع إلى فكر**".[1]

ومن خلال كتابات "حسن حنفي" نجده يستعمل المفاهيم (الأصالة، المعاصرة) بمعنى آخر(الحداثة، التقليد) أو (الأنا، الآخر) ،(التحديث، التغريب) وهي متداخلة مع بعضها البعض ،فإننا نجده يرى أن الحداثة قد تعني اتباع أساليب العصر و مناهجه في تحليل التراث و قد تعني التجديد في مواضع أخرى و" **الحداثة لا تعني الغرب بالضرورة ، وإنما تعني قدرة التراث على أن يجتهد طبقا لظروف العصر**"[2]، وهذا ما يراه حنفي عندما يربط مفهوم الحداثة بمفهوم التقدم الذي هو " **شوق واضح شعوريا وإن كان غامضا ذهنيا و صعبا عمليا**"[3] و يقصد "حسن حنفي" هنا أن التقدم هو الإنتقال من التقليد إلى الحداثة أي أنه غاية أو هدف للتغيير من نمط الماضي إلى الحاضر و عليه يكون صعب من الناحية العملية.

إن المشكلة الفلسفية التي طرحها ولا زال يطرحها صاحب مشروع "التراث و التجديد" و المرتبط مباشرة بالواقع في مستوياته المختلفة ،اجتماعية وسياسية واقتصادية و تمثل إحدى الجبهات الثلاث وهو السؤال الذي لم يفارق في أتون الاندفاع و التصدي و الانكسار و التحدي يطرح شدة و بوضوح و بدقة " لكن التحدي الأعظم هو هل نحن قادرون على التنظير المباشر للواقع؟ أي على الحصول على أكبر أداة من أدوات التحليل لإيجاد نظرية مباشرة عن الواقع ،أي لإنشاء التراث ، يعني أن المرحلة التالية ليست فقط أخذ موقف من التراث القديم بل إنشاء تراث كما أنشأ القدماء تراثا"[4].

لقد اعتبر "حسن حنفي" التراث مكون أساسي من مقومات الأمة الذي يثبت هويتها و حضارتها لأن " الحضارة المتميزة تحتفظ دائما في جانبها الثقافي بخصوصيتها الذاتية، و إن تطورت بحكم

1 – المصدر نفسه، ص 52

2– حسن حنفي، الجابري، حوار المشرق والمغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة 1995، ص 71.

3- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن،(ج1)،التراث والعصرو الحداثة، دار قباء للطباعة والنشر،الطبعة الثانية1998،ص132

4 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432هـ، ص

سنة التطور، دون أن تفقد كينونتها المتمثلة في تراثنا المشترك، و دون أن تضيع صورتها الإنسانية في الوقت ذاته "[1]

في حين أن بعض المفكرين العرب يعتبر التراث ما هو مقدس وغير مقدس أما البعض الآخر " فيخرج المقدس من للتراث، فيرى أن التراث مما صنعه البشر ،ومما هو بعيد عن الأديان –أي عما جاء من عند الله–وهذا أيضا ليس بصحيح لأن القرآن الكريم ينص على أن الكتاب يورث :ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا ،أي أن التراث هو كل ما ورثناه عن السلف ،حيا كان أو ميتا ،مقدسا كان أو غير مقدس"[2]، و على هذا المنوال يبين "حسن حنفي" أن ماهية التراث لا تكمن في كونه ديني فقط بل يتعدى ذلك إلى ما هو واقعي ، محلي، " **ففيه – التراث – يتداخل الديني و الشعبي المقدس والدنيوي.لا فرق في استخدام الشعبي بين الاستشهاد بالآيات القرآنية و الحديث النبوي و بين الاستشهاد بالمثل الشعبي و بسير الأبطال كلاهما مصدر و منبعا لمعايير السلوك و تتداخل معهما أقوال الآباء و الأجداد و نصائح المعلمين والرواد ،الكل حجة سلطة وليس حجة عقل يتداخل فيه الصحيح و الموضوع ،التاريخي الأسطوري ،المروي و الخيالي ،الكل يكون مخزونا في اللاشعور التاريخي للأمة و في ذاكرتها الجماعية** "[3].

ومن هذا المنطلق يعرف "حسن حنفي" على أنه " **مجموعة الأجوبة لمجموع الأسئلة التي طرحها جيل معين في ظروف تاريخية خاصة ،و لما كان الزمان متغيرا فلكل جيل أسئلته و أجوبته التي قد تتفق و قد تختلف مع أسئلة جيل آخر إجاباته ، لذلك رأى بعض الأصوليين القدماء أن إجماع عصر سابق ليس بالضرورة ملزما لعصر لاحق وإن تقليد المجتهد اللاحق لمجتهد سابق لا يجوز لأن التقليد ليس مصدرا من مصادر العلم**"[4].

ونفهم مما سبق أن التراث ليس مخزون ثابت فهو متغير ومتحدد من جيل لآخر، ف "حسن حنفي" يرفض كل تراث تقليدي فهو " **يرى أن التراث ما زال حيا في قلوب الناس ويؤثر فيهم سلبا وإيجابا يلجئون إليه سائر الأزمات و يحتمون به إذا اشتدت بهم عوائد الدهر....فالمطلوب قراءة**

1 – علي فهمي خشيم، المستقبل ينبثق من الماضي، ورقة مقدمة ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105، مارس 1994، تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ص 67.

2 – محمد أحمد خلف الله، علاقة الهوية والتراث بالإسلام، ضمن بحوث و مناقشات ندوة تكنلوجيا تنمية المجتمع العربي، في ضوء الهوية والتراث، ا لقاهرة ، العربية للدراسات و النشر سنة 1985،ص 45.

3 – حسن حنفي ،التراث والتجديد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1981،ص13.

4 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، في الفكر العربي المعاصر (ج2) ،القاهرة،دار قباء للطباعة و النشر ،الطبعة الاولى سنة1968، ص589

التراث و توظيفه توظيفا جديدا بحيث يصبح نظرية للعمل ،و موجه للسلوك و ذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الانسان"[1].

و بناء على هذا القول فإن مفكرنا يدعوا الباحثين إلى الانشغال في التراث على سبيل التحديد لا على سبيل التقليد، فالتراث جزء من التغير الاجتماعي قد يؤثر بالسلب أم بالإيجاب و هذا قد يكون تابع لسلطة الدولة و المجتمع و هكذا يكون التراث عند حنفي نوعان" **تراث السلطة و تراث المعارضة ، تراث الدولة ،تراث الشعب، الثقافة الرسمية و الثقافة المضادة، فالثقافة كالمجتمع تتمايز بتمايز السلطة في المجتمع ،و كما تكون المجتمع من طبقات إجتماعية و كان الصراع على السلطة فبه طبقا لصراع الطبقات ،أفرزت كل طبقة أي لكل سلطة تراثها وثقافتها ...التراث نتاج إجتماعي لا يسبق وجود المجتمع ،وليد الصراع الاجتماعي و السياسي وليس سابقا عليه ، إفراز إجتماعي كأحد أشكال القوى ، التراث سلطة لأنه يمد السلطة السياسة القائمة شرعيتها و التي تحاول أن تنزع الشرعية عن سلطة المعارضة و تراثها "[2]**

ان قضية التراث مرتبطة اذن بمصير المواطن و حياته لأنه أصبح جزء من الدولة ومن العالم ككل ، و فهو بذلك يحدد وطنية الإنسان و هويته و هنا يقول" حسن حنفي" و لكنه قضية وطنية تمس حياة المواطنين و تتدخل في شقائهم أو سعادتهم ....قضية التراث و التجديد قضية وطنية لأنها جزء من واقعنا ،نحن مسؤولون عنه كما أننا مسؤولون عنه، كما اننا مسؤولون عن الشعب و الأرض و الثورة ،و كما أننا مسؤولون عن الآثار القديمة و المأثورات الشعبية "[3].

وبما أن التراث قضية وطنية يعتبر أيضا قضية وطنية يعتبر أيضا قضية شخصية تخص مجتمع عن مجتمع آخر و انطلاقا منه تحدد قومية الباحث و الدارس له " **فالتراث قضية شخصية نلتزم بها ،و تختلف دراستنا له عن دراستنا للتراث الهندي أو الفارسي أو الصيني أو الغربي لأننا في هذه الحالة نكون مجرد باحثين في حين أننا في الحالة الأولى نكون أكثر من**

1 - حسن حنفي ،التراث والتجديد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1981،ص13
2 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن،ج1،دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة سنة1998 ،ص 345

3 – حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ،الطبعة الخامسة سنة2002 ص 23

باحثين بل نكون ملتزمين بقضية شخصية"[1] ،أي أن في الحالة الأولى الذات الدارسة و الموضوع المدروس شيء واحد أما في الحالة الثانية فتختلف الذات عن الموضوع لأن تراث الغير لا ينطلق من هوية الذات و عليه يؤكد "حسن حنفي" على صفة الشخصية بالنسبة للباحث ويرفض كل الدراسات التي تغيب عنها هذه الصفة فيقول:" **تغيب على معظم دراسات باحثينا في التراث عدم أخذ قضاياه كقضايا شخصية و الاكتفاء بعرض المادة القديمة كما هي الى حد التبسيط الرخيص المخل بأهمية مثل هذه القضايا للقدماء و قد تطايرت من أجلها الرقاب حينذاك، في حين و أن المعصرين و قد ضاعت أرضهم و ثرواتهم لم يهتزوا ولم يلتزموا، و ظل التراث بالنسبة لهم قضية ميتة لأنهم ميتون....لذلك كان التراث و التجديد تعبيرا عن الحياة الشخصية للبحث .والمشاكل التي عرضت له إبان العشرين السنة الماضية، و حرصه على التراث وعلى تغيير الواقع في آن واحد، و هي قضية المثقفين الثوريين لهذا الجيل."**[2]

إن الحامل للتراث والدارس له نظر "حنفي "هو القادر على تجديده في ذاته ، فليس الغاية من تجديد العقيدة والشريعة أن نزيد عليها وإنما تحول أن نحول علم الوحي إلى علم محكم وأن تنتقل من علم العقائد الدينية إلى العلوم الإنسانية، فليس التراث الماضي فحسب ، بل هو معطيات الحاضر أيضا وهو جزء من الواقع،" **لكن التحدي الأعظم هو هل نحن قادرون على تنظيم المباشر للواقع؟ أي على الحصول على أكبر أداة من أدوات التحليل لا يجاد نظرية مباشرة مع الواقع أي لإنشاء تراث .يعني أن المرحلة التالية ليست فقط أخذ موقف من التراث الغربي أو من التراث القديم بل إنشاء كما أنشأ القدماء تراثا."**[3]

يريد حسن حنفي أن يمنح "التراث" بعد واقعيا وعصري وذلك بعد إعادة صياغته وبنائه لإنشاء تراث جديد لبناء علاقة صحيحة اتجاه الآخر ورده إلى حدوده الطبيعية وهذا يعني أن الفكر العربي يحتاج إلى تجديد مصادر العقلانية انطلاقا من قراءة الإسلام وتراثه يشكل مخيال الأمة ومخزونها النفسي الذي لا يمكن تجاوزه." ولكن ينبغي أن ندرك، و أن نقبل فكرة أن التراث لا يتضمن حلولا جاهزة، لا كلية ولا جزئية للعصر، و هذا ينطبق على تراثنا و تراث غيرنا. فالحلول تصوغها الجماعات في كل حقبة من التفكير في المشاكل التي تواجهها ولا تستمدها من التراث أو من الغير.و لم تقم النهضة في الغرب أو في الشرق لأنهما كان يملكان تراثا أفضل من غيرهما،

1 - المصدر نفسه، ص24.
2 – المصدر نفسه، ص 25.
3 - محمد وقيدي، عبد الصمد بلكبير ومحمد بنيس، من بيروت إلى النهضة، أسئلة واختبار، حوار مع حسن حنفي، مجلة الثقافة الجديدة، المغربية، عدد 29، سنة 1983، ص 15.

فالنهضة هي التي تخلق بشكل ما التراث عندما نعيد تأويله و تفسيره وتستوعبه ضمن اشكالياتها. و بمعنى ما إذا فقدت الجماعة كفاحها من أجل إيجاد حلول جديدة لمشاكلها فقدت الحاجة إلى التراث و المرجع و أفقدت التراث قيمة أيضا."[1]

لقد أكد حسن حنفي ذلك في أكثر من كتاب بأن الدفاع إلى تجديد التراث هو" **إعادة النظر في التراث الفلسفي خاصة وفي التراث كله عامة، علومه و أبنيته وحلوله واختياراته وبدائلها الممكنة هي تعبر الظروف كلية من عصر ومن فترة إلى فترة .** "[2]

ونظر لعجز المناهج و الاتجاهات القائمة حاليا على حل الأزمة الثقافية و فشل محاولات التغيير، صار من الضروري تحديد التراث بطرق تسمح بإيجاد حلول لهذه الأزمة بفعالية و نجاعة و ذلك بعد قراءة التراث و نقده و إعادته صياغته ثم بنائه وفق معطيات العصر، و هي مهمة مشروع "التراث و التجديد" بجبهاته الثلاث الذي يعبر فيه "حسن حنفي" عن موقفه الحضاري و القومي الوطني لأن" **المعركة الحقيقية الآن معركة فكرية و حضارية و لا تقل أهمية عن المعركة الاقتصادية أو المعركة المسلحة إن لم يكن أساسها .و إن الهزيمة المعاصرة هي في جوهرها هزيمة عقلية كما أنها هزيمة عسكرية. و إن الخطر المداهم الآن ليس هو فقط ضياع الأرض بل قتل الروح و اماتتها الى الأبد و انجرارنا الى نقد الأصالة في تراثنا القديم و نقد المعاصرة التي حولها تراثنا القديم مع الثقافات المعاصرة له .التراث و التجديد هو مشروع الأصالة و المعاصرة التي لم يستطيع أن تحققها حتى الآن،و بعد توالي الهزائم ، و لم نكن نلمسها إلا دعاية أو ادعاء ،ويشمل التراث و التجديد ثلاث أقسام ،تعبر عن موقفنا الحضاري الحالي الذي يحدد اتجاهات الدراسة و البحث** "[3].

إن الأقسام الثلاثة التي تبلور مشروعه الحضاري و تشمل الجبهات الثلاث: موقفنا من التراث القديم ،و من التراث الغربي ،موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير و هي على النحو الآتي:
القسم الأول: الموقف من التراث القديم ويشمل على 8 أجزاء.

---

1 - برهان غليون، إغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي(المغرب، لبنان)،الطبعة الرابعة سنة 2006،ص273.

2 – حسن حنفي، دراسات فلسفية ،الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة 1998، بدون طبعة، ص 109.

3 – حسن حنفي ، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة2002،ص 176.

القسم الثاني: الموقف من التراث الغربي ويشمل 5 أجزاء.

القسم الثالث: الموقف من الواقع ونشمل 3 أجزاء.

وهكذا ينجز حسن حنفي الجزء الأول في القسم الأول تحت عنوان من "العقيدة إلى الثورة" و" من النقل إلى الإبداع "و "من النص إلى الواقع "و "من الفناء إلى البقاء" و "من النقل الى العقل" و " العقل و الطبيعة" و "الانسان و التاريخ" وأنجز موقفه الثاني ضمن كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" والذي يشمل ثلاثة أجزاء وتشمل مصادر الوعي الأوروبي وبداية الوعي الأوروبي ونهاية الوعي الأوروبي أما القسم الثالث يشمل المناهج والعهد الجديد والعهد القديم.

وسنحدد هنا تصورا عاما لمواقف حسن حنفي الثلاثة في التحليل الآتي:

موقفه من التراث القديم:

يرى حسن حنفي " **أن التراث القديم كله استجابات ذهنية للأجيال سابقة إزاء أحداث عصر مضى ويكشف عن صراع القوى وتما على تراث القوى المغلوبة وثم تدوين كل شيء في التاريخ والأصول والعقائد أي في إيديولوجيات الشعوب من وجهة نظر الغالب وهيئة مؤامرات الصمت والتشويه حول تراث المعارضة، فتحول هذا التراث إلى تراث سري كما هو الحال عدد الشيعة أو التراث علني لفته مؤامرات الصمت حتى هدد بالاندثار مثل تراث الخوارج (المعارض العلنية من الخارج) وتراث المعتزلة (المعارضة العلنية من الداخل).**"[1]

من خلال هذا الطرح يتبين لنا أن التراث ليس مصدر ثابت مطلق يمكن أن يعتمد عليه الباحث في تحليلاته فالتراث المحفوظ في الكتب القديمة كان لصالح السلطة على حساب المعارضة ، ويوضح حسن حنفي موقفه من علم العقائد الذي تتغلب فيه الفرق الناحية التي عبر عنها بعقائد السلطة على عقائد الفرق الهالكة (المعارضة) وهذا يعني أن علم العقائد هو نتيجة اختيارات سياسية محضة فهو ليس علما مقدسا . أما نظرته لعلوم الحكمة القديمة فكانت نظرة

سلبية لطغيان الإشراق الصوفي" **بحيث تركزت نظرية المعرفة و السعادة فيها على الاتصال بالعقل الفعال و القرب منه و الاتحاد به ، صارت الطبيعيات مقدمة للإلهيات أو هي إلهيات مقلوبة ، و المنطق صوريا لا حياة فيهو لا جدل ولا صراع و لا واقع و لا بشر، و الفضائل النظرية أقص؟**

[1]- حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص 21.

من الفضائل العلمية ، فقد تكون مهمة الحكيم اليوم التخلص من الإشراقيات القديمة دفاعا عن العقل ، مع النظر الى الطبيعة نظرة علمية خالصة مميزا بين الفكر العلمي و الفكر الديني و اختيار منطق حسي طبيعي تجريبي مادي كاختيار الأصوليين ، و اعطاء الأولوية و للقيم العلمية على القيم النظرية و للشعوب والمؤسسات على خصال الرئيس وصفات الامام"[1] .

كانت نشأة علوم التصوف عند القدماء في نظر "حسن حنفي " نتيجة لظروف تاريخية مرتبطة بحرص الناس على الدنيا و استشهاد الأئمة من أهل البيت و انتهاء المقاومة الخارجية أي أن هناك هروبا من الواقع المأساوي الذي استعصى خلاصه، فظهرت القيم السلبية كالورع و الرضا و الصبر و التوكل و غيرها.

ويتضح موقفه من علم أصول الفقه القديم في قوله :" **فهو علم الواقع و الحياة الذي يجب أن لا يغيب فيه الانسان**"[2] لأنه العلم الوحيد الذي وظف العقل في معالجة قضايا الناس و المصالح العامة "**ومع ذلك فقد أعطى القدماء الأولوية للنص عل الواقع كما هو في ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة دفاعا عن النص الجديد في مجتمع قديم تكون مهمتنا اليوم إعطاء الأولوية للواقع على النص دفاعا عن الواقع في عصر لا يعتمد إلا على علوم الواقع ويعاني من النص**" .[3]

إن حنفي يعطي الأولوية للواقع أي للاجتهاد والإجماع على النص وهذا من أجل النهوض بثورة فكرية تحرر الواقع من حمايته وقد عثر عن ذلك في قوله: " **ليس مهمته أصول الدين الجديد نظرية فحسب بل هي أيضا مهمته عملية من أجل تحقيق الايدلوجيا بالفعل كحركة في التاريخ بعد تجنيد الجماهير من خلال ثورة عقائدها** " .[4]

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص.22،23

2 - حسن حنفي ، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة2002،ص 151.

3 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص 23

1 – حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول، المقدمات النظرية، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة،1988،ص79.

ويقول أيضا: " **فإذا كان القدماء في دفاعهم عن التوحيد قد فتحو البلدان وعزوا في سبيل الله وحرروا الوجدان البشري أعلاه لكلمة الله أكبر فانتصروا في الفكر والشريعة وحققوا النظر في العمل، إننا اليوم ندعوا الأمة إلى الاجتهاد وإلى تحرير البلدان واستعادة الأراضي المغتصبة**"[1].

يعتقد حسن حنفي" أن العلوم النقلية البحتة الخمسة (علوم القرآن ، علوم التفسير، علوم الحديث ، علوم السيرة ،علوم الفقه) لم تنل حقها من الدراسة و النقد والتطوير ولم تحول الى علوم نقلية خالصة مثل العلوم الرياضية و الطبيعية و الانسانية " **وتركت في أقسام اللغة العربية و آدابها و في أقسام الدراسات الاسلامية كما هي دون تحوير أو تبديل تدعمها أنظمة الحكم و تعممها القوى المحافظة على كل الأقسام بما في ذلك أقسام اللغات الأجنبية حماية للطالب من المذاهب الهدامة و من الإيغال في الفكر، كما كانت الأنظمة تفرض الاشتراكية العربية و المقررات القومية من قبل و مع أن هذه العلوم نشأت لغايات معينة حفاظا على نصوص الوحي بعد التدوين و نجحت في ذلك عن طريق النقد الخارجي للروايات فإنها بالنسبة لجيلنا علوم في حاجة الى تطوير عن طريق النقد الداخلي للمتون إما بتحليل الأشكال لأدبية أو بتحليل المضمون. و بالتالي يمكن تحديد غايات حديدة لها لتطويرها.**"[2]

أما العلوم العقلية الرياضية (كالحساب و الهند ،الجبر...) والعلوم الطبيعية (كالكيمياء و الطب والصيدلية....) و العلوم الانسانية (اللغة و الأدب و الجغرافيا و التاريخ) ، فيحاول "حسن حنفي" إعادة بنائها تحت عنوان "الوحي و العقل و الطبيعة" لأنه لم يتم إبداع المعارف العقلية و إنما تم استهلاكها فقط ولم يتم اكتشافها و إنما تم نقلها ، فقد "**تكون مهمتنا اليوم هي البحث عن الصلة بين التوحيد و حساب اللامتناهي أو الفن العربي، و الصلة بين واقعية الاسلام و نظريته الحسية المادية و بين نشأة علوم الطب و الكيمياء و الصيدلية و الحيوان و الصلة بين الانسان سيدا للكون سخرت قوانين الطبيعة لصالحه وبين التقنيات الاسلامية و اختراع الآلات.**"[3]

2 – المصدر نفسه، ص 24

3 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987،ص 24

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص26.

2 - المصدر نفسه، ص ص، 26-27

وبناء على ما سبق يتجلى لنا أن "حسن حنفي" يرفض التقليد الأعمى لما سبق من العلوم فمن مسؤولية الباحث إعادة تمحيصها و تطويرها لبلوغ الحقيقة وإيصالها للناس و" **تقديم التراث لهم في مواجهة قضية اللغة و المصطلحات و مستويات التحليل ،و المحاور و البؤر الحضارية و إعادة الاختيار بين البدائل القديمة، فالتحدي الذي يواجه الباحث اليوم هو القدرة على تجاوز اللغة القديمة و محاولة إعادة بنائها و التخلي عن أشكالها القديمة ووضع معانيها في ألفاظ جديدة أكثر اغراء للناس و أكثر قبولا لدى الشبان و الطلاب ،فغالبا ما تستهوي المفكرين اليوم ألفاظ الحرية و العدالة و المساواة و التقدم و الشعب و المجتمع و التاريخ و لا تستهويهم الألفاظ القانونية القديمة التي توحي بالغرض مثل الواجب، والحلال، والحرام أو ألفاظ العبادات مثل الصلاة و الصيام ،...ليس الأمر مجرد تغيير لفظ بلفظ بل تجديد الفكر و تطوير الحضارة."**[1]

ومن مهام الباحث ايضا اعادة النظر في مستويات التحليل وفي المحاور الحضارة القديمة هذا من أجل اكتشاف التراث كمخزون نفسي لدى الجماهير و اعادة المحاور و البؤر لاكتشاف الانسان و تاريخه " **إذ يضرب بنا المثل للمجتمعات الانسانية التي لا تعرف الزمان ،وترسل إلينا لجان الأمم المتحدة لدراسة أوضاعنا بالنسبة لحقوق الإنسان ، كما أننا خارج التاريخ ،ولا نعلم في أية مرحلة من التاريخ نحن نعيش ،وليس لدينا تراكم تاريخي ، يبدأ كل جيل و ينتهي ثم يبدأ الجيل الثاني كما بدأ الأول من الصفر ،و لا يكاد يمر جيلان أو ثلاثة حتى يبدأ القومي في السقوط ، نهبط بمجرد أن نعلو، لقد عمرت نهضتنا الأخيرة أربعة أجيال فحسب قبل أن نشاهد تعثر النهضة وكبوة الإصلاح"**[2]، وعلى الباحث أيضا أن يعيد و يحسن الاختيار بين البدائل القديمة بعد أن تم اختيارها لحسم صراع سياسي لصالح السلطة، يعيد الباحث اليوم اختيارها لصالح الجماهير و ذلك من خلال الاجتهاد دون تكفير أحدهما على حساب أخرى ، كما يمكنه إيجاد بدائل جديدة لم يطرحها القدماء من قبل.

وأمام هذه المواقف المتباينة في النظر إلى التراث لا يفوتنا بأن نذكر موقف" حسن حنفي" من علم الكلام الذي هو مسطر في الفصل الأول من المجلد الأول للكتابة الضخم من "العقيدة إلى الثورة "والذي حاول فيه أن يقدم فهما جديدا يتماشى مع الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية خاصة غياب الوعي الذي يتمتع به الوعي الذي يتمتع به الإنسان العربي المسلم في ظل نشوة معرفته

3 - المصدر نفسه، ص 27

بالقضاء والقدر وحدود الإدارة الإنسانية تماشيا مع الإرادة الإلهية مما جعله يعطي فهما جديدا يتواجب مع مستجدات الواقع وهذا ما جعله يقول: " **ولأن كثيرا من مآسي عصرنا لهو انتصار الجماهير والجود .... حتى أصبح العصر كله عصر تعايش وارتراق بل إن سلبية الجماهير اليوم قد ترجع إلى أن معظم مظاهر التغيير الاجتماعي في حياتها قد تمت أيضا بفعل الجود والكرم**"[1].

وقد أبرز" حسن حنفي" فشل علم الكلام القديم في توجيه الأمة ويعيب على وقوعهم في التشخيص والتشيؤ في أن الذات تكشف عن الوعي الخالص والصفات تكشف عن المثل العليا التي يحاول الإنسان تحقيقها في الواقع العلمي وفي هذا الصدد يقول: " **الحقيقة أن موضوع الذات والصفات عند القدماء هو لب التوحيد ووصف الذات الكاملة و أوصافها المطلقة ولكن خطأهم الوقوع في التشخيص والتثبيت والتجهيز والتشيؤ والضمينة والكون والوثيبة في حين أن الذات تكشف عن الوعي الخالص والصفات تكشف عن الأمثل العليا التي يحاول الإنسان تحقيقها في حياته العملية**".[2]

وانطلاقا مما سبق يتبين لنا أن حسن حنفي يرفض الصورة التقليدية لهذه العلوم من منطلق اختيار الأصلح لمتطلبات العصر، وهذا ما عبر عنه في قوله " **لا يوجد مقياس صواب وخطأ نظري للحكم عليها بل لا يوجد إلا مقياس علمي، فالاختيار المنتج الفعال المجيب لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب ولا يعني ذلك أن باقي الاختيارات خاطئة بل يعني أنها تطل تفسيرات محتملة لظروف أخرى وعصور أخرى ولت أو ما زالت قادمة**".[3]

وعلى هذا الأساس تكون قراءة التراث و نقده واعادة بنائه وفق ما يتوافق مع راهنية العصر هو الكفيل الوحيد بتوظيب التراث إيجابيا لبناء الحاضر والتطلع للمستقبل، هي مهمة مشروع " التراث والتجديد" متجاوزا النمط الثلاثي القديم " .

بوسعنا الاستنتاج مما تقدم القول بأن "التراث" يمثل عامل مهم من العوامل التي تقوم عليها حياتنا و في أي حال لا يمكن التجرد منه لأنه ميزة المجتمع الانساني فهو يمثل حاضره و ماضيه و لا يعبر عن معتقدات مقدسة مغلقة و لا هو بناء شكلي ،فارغ ولا هو مجرد شيء مادي محفوظ

[1]- حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول، المقدمات النظرية، مكتبة مدبولي للنشر،القاهرة،سنة1988، ص 10

[2] - المصدر نفسه، ص 67.

[3]- حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة،2000،ص 22.

بل هو " **تمركز الماضي في الحاضر ، يتحول إلى سلطة العقل أو الطبيعة تمد الإنسان بتصوراته للعالم و بقيمه في السلوك و يظهر التراث كقيمة في المجتمعات النامية و هي المجتمعات التراثية التي مازالت ترى في ماضيها العريق أحد مقومات وجودها وفي جذورها التاريخية شرط تنميتها و ازدهارها.**"[1]

موقفه من التراث الغربي

يتضح موقف "حسن حنفي" في الجبهة الثانية من خلال نقده للتراث الغربي ورده إلى حدوده الطبيعية بهدف تأكيد الذات والهوية في ظل عمليات التغريب الممتدة إلى أمته في و جدانيتها و ذهنياتها وهذا يتبين من خلال قوله: "**تطوير موقف الانتقاء من الغرب وإكماله بتصور نقدي له ورده إلى حدوه الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية وتحجيم ثقافة المركز من أجل إفساح المجال لتمدد ثقافة الأطراف والخروج عن عزلتها وحصارها وتطويرها تطويرا طبيعيا....وفي نفس الوقت الذي يعلن فيه الوعي الأوروبي نهايته يبدأ وعي جديد في العالم الثالث يتكون ويتشكل، يحمل مثلا جديدة للإنسانية لا تتكسر على حدود الشعوب والأوطان ولا تتحقق بمعايير مزدوجة، بطريقة داخل المركز وبطريقة أخرى خارجه ومن ثم يكون المستقبل كاشفا عن نهاية وعي وبداية وعي آخر، نهاية زيادة لحضارة وبداية لحضارة جديدة**"[2]

إن اهتمام حسن حنفي بالتراث الغربي، قرار كان لابد منه مادام يشكل أحد الروافد الرئيسية للوعي العربي في العصر الحديث والمعاصر، ولهذا يسعى "حسن حنفي" إلى إنشاء "علم الاستغراب " الذي هو جزء من مشروعه النهضة "التراث والتجديد"، يعبر من الاجتهاد دون تكفير أحدهما على حساب أخرى ، كما يمكنه إيجاد بدائل جديدة لم يطرحها القدماء من قبل.

و يعقد عليه آمالا كبيرة حتى تنال الأنا شرفها و يعرف الآخر حدوده الثقافية الغربية و يبين " **محليتها بعد أن ادعت العالمية و الشمول و اخراج أوروبا من مركز الثقل الثقافي العالمي و ردها الى حجمها الثقافي الطبيعي في الثقافة العالمية الشاملة .**"[3]

يهدف "حسن حنفي" من خلال هذا القسم إلى إعادة بناء الحضارة الاسلامية و ذلك بتحديد الموقف من التراث الغربي أو الوافد الذي هو جزء من حركة التاريخ وواجب قومي ووطني يؤصل الموقف الحضاري.

---

1 - حسن حنفي، دراسات فلسفية، الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة 1998، بدون طبعة، ص 153.

2 - حسن حنفي، هموم الفكر و الوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة 1998، ص ص،460،461.

1 – حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة 2000، ص 181.

موقفه من الواقع (أو نظرية التفسير):

يعتبر هذا القسم الثالث أو الجبهة الثالثة من مشروعه النهضوي الذي يمثل الموقف من الواقع أو نظرية التفسير و يرى حسن حنفي أن " **الموقف من التراث القديم والموقف من التراث الغربي مدخلان حضاريان يعبران عن موقفنا الحضاري اليوم الذي هو مصب للتراثين قديم ومعاصر. إنهما في حقيقة الأمر مصدر واحد من مصادر المعرفة وهو النقد، بصرف النظر عن مصدر النقد من الماضي أو من الحاضر من الأنا أو من الغير. والحقيقة أن الواقع لم يكن غائبا في لموقفين الحاضرين السابقين، فالموقف من التراث القديم، في أحد جوانبه، هو رد التراث إلى الواقع الأول الذي منه نشأ والذي له صيغة خاصة به، ثم عرض التراث على الواقع الحالي، فما اتفق مع مصالحه بقي وتطور، وما نفى هذه المصالح تم إسقاطه ونقده وتلاشيه، والموقف من الغرب أيضا التي نشأ منها، ومعرفة أي مراحله أكثر اتفاقا وجلب نفعا لنا في المرحلة الحالية التي تمر بها، وأيها ابعد عنا وأكثر ضررا، فالواقع حاضر في قلب الحضارة: منه تنشا فكرا وإليه تعود أثرا**".[1]

لقد تبين مما سبق أن "حسن حنفي "يريد أن يمنح التراث الغربي والمحلي بعدا واقعيا، فلا يمكن تبريرهما إلا من خلال فهم الواقع أي أنه كلما التراث – عربي إسلامي أو غربي– أكثر إحصاءا لمشاكل الواقع ازدادت فعاليته وحافظ على بقاءه، ومن خلال هذه العلاقة بين التراث والواقع، قد يجتمع الوحي والواقع، الدين والدنيا، الله والإنسان وهذا ما يسميه حسن فهمي بنظرية التفسير وقد مثلت هذه النظرية في مشروعهّ التراث والتجديد" سبيلا رئيسيا في بناء موقفه الحضاري الذي يعتمد على تفسير الحضارة الإنسانية وإعادة بناءها من خلال الوحي الذي هو المصدر الديني الإلهي."**فالغاية النهائية هو الوحي ذاته وإمكانية تحويله إلى علم إنساني شامل، وهذا لا يتم إلا عن طريق نظرية في التفسير تكون منطلقا للوحي... أن الأفكار البشرية كلها تخضع في الحقيقة إلى نظرية في التفسير، تفسير النص أو تفسير الواقع..... التفسير إذن هو النظرية التي يمكن بها إعادة بناء العلوم والتي يمكن بها تحويل طاقة الوحي إلى البشر، وضبطها في الواقع وتحديد اتجاهها الحضاري بالنسبة للثقافات المعاصرة**".[2]

---

[1] - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987،مصدر سابق ص ص36-37.

1 - حسن حنفي – التراث والتحديد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة 2000 ص 183، 184.

يريد "حسن حنفي" من خلال هذه النظرية تحويل الوحي إلى علوم إنسانية و الربط بين الواقع والوحي في عضوية واحدة هي الإنسان من خلال إبداعاته ومساهماته في التغيير الإيجابي. فهو يعقد" آمالا كبيرة في نظرية التفسير التي تقوم على منهاج تحليل الخبرات الذي يعود إلى الطبيعة في التفسير أي تفسير طبيعي لا ينطلق من اللغة بل من تحليل الواقعة ذاتها التي تشير إليها النصوص و تحليل الادراكات الحسية ،فالتفسير الطبيعي لا يبدأ من النص بل من الواقع غايته معرفة تكوين الطبيعة و هو في جوهره المعنى الحسي المشخص للنص ،فالنص و الواقع شيء واحد و النص الديني موقف إنساني و يتحول التفسير الطبيعي للنص إلى التحليل الانساني فيحصل الانتقال من اللفظ إلى الشيء ذاته."[1]

وبناء على ما سبق، تكون فلسفة حسن حنفي معبرة عن موقفه الحضاري بأبعادها الثلاثة التي تقوم على إعادة بناء التراث القديم في الجبهة الأولى وعلى نقد التراث الغربي في الجبهة الثانية، وعلى التنظير المباشر مع الواقع في الجبهة الثالثة، وهذه الفلسفة يغلب عليها الطابع التحليلي النقدي، الذي يظهر في سائر كتاباته وحواراته.

2 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضاري، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص.74

المبحث الأول: بين الاستغراب والاستشراق:

"لقد اكتسب دراسة الاستشراق أهمية كبرى عند المسلمين وذلك من أجل فهم الظاهرة الاستشراقية من ناحية، ومواجهة تأثيرها السلبي في الفكر الإسلامي بما تثيره من شكوك في الدين الإسلامي، وما تسببه من تشويه لهذا الدين القويم لدى القارئ الغريب فضلا عن تأثيرها في بعض المفكرين المسلمين"[1].

ينبغي إذن أن نعرف ان الاستشراق ظاهرة استعمارية تهدف الى معرفة الحضارة الشرقية بكل جوانبها السياسية والثقافية و العلمية و الاقتصادية و التاريخية حتى تتمكن من احتوائها و السيطرة على امكاناتها و "الاستشراق في المفهوم العلمي علم يضم في رحابه الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وحضارته ولهم طبقات من حيث الزمن
(القدماء والمحدثون)، ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام (المداحون والمنتقدون) والدراسة الشاملة للموضوع لا بد أن تقوم على هذا الأساس والترتيب كما يرى مالك بن نبي.[2]
بهذا المعنى يصبح الاستشراق محملا بإديولوجية المنهج العلمي و الاتجاهات السائدة في القرن التاسع عشر، وقد وجد – الاستشراق – لتبرير الهيمنة الثقافية وطمس هوية الشعوب، أما "المستشرق فهو من يقوم بدراسة الشرق وحضارته من غير الشرقيين"[3] وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للاستشراق واهتمامه البالغ بالشرق وما يتعلق به، فالجدير بنا أن نتساءل: ما المقابل للاستشراق وهل اهتم العرب بحضارة الغرب وآدابها كما فعل المستشرقون ؟

يقول "حسن حنفي": "**إن الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال (الغرب) وإذا كان الاستشراق هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى ولهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها ، فإن الاستغراب هو العلم المضاد له..... في الاستغراب**

[1] - د. مازن بن صالح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الطبعة 2011 ، ص 13.
[2] - د. يحي مراد، معجم أسماء المستشرفين، دار الكتب العلميق، بيروت- لبنان، بدون طبعة، ص 12.
[3] - بركات هاني، الاستشراق والتربية، دار الفكر والطباعة والنشر، عمان، الطبعة الأولى سنة(2003،1424) ،ص31

انقلبت الموازين وتبدلت الأدوار، فأصبح الأنا الأوروبي الدارس بالأمس هو الموضوع المدروس اليوم، كما أصبح الآخر الأوربي المدروس بالأمس الأنا الدارس اليوم "[1]

ومن هنا حاول "حسن حنفي" أن يؤسس لفكر جديد وعقلانية مقابلة تقلب الموازين فتخضع الآخر الذي كان الدارس لموضوع دراسته، ونحو الذات التي كانت موضوع إلى ناقد ولهذا من غير انفعال ولا انتقاص، وإنما الأغراض نبيلة تهدف إلى إثبات الوجود الذاتي في مقابل وجود الآخر، مع الفهم الدقيق للواقع والتطلع لمستقبل أفضل.

أما الاستغراب في المفهوم اللغوي فقد ورد منه " استغراب في الضحك أغرب إذا أكثر منه ... واستغرب عليه الضحك كذلك.... وفي الحديث: أنه ضحك حتى استغرب أي بالغ فيه، وقيل إن الاستغراب هو القهقهة، و دعاء ابن هبيرة أعوذ بك اللهم من كل شيطان مستغرب وكل نبطي مستعرب•، قال الحزى: أضنه الذي جاوز القدر في الخبث، كأنه من الاستغراب في الضحك ويجوز أن يكون بمعنى المتناهي في الحدة، من الغرب: بمعنى..... واستغراب الدمع: سال [2]

وبهذا يمكن القول أن كلمة " الاستغراب " مأخوذة من كلمة " غرب " وكلما غرب تعني أصلا غروب الشمس، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة " المستغرب" وهو الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها[3]

وحتى يتضح لنا مفهوم الاستغراب بشكل جليّ، لا بد من عقد مقارنة سريعة مع بعض المفاهيم القريبة منه **(الاغتراب أو الاستلاب، التغريب)**. فمفهوم الاغتراب **(أو الاستلاب L'aliniénation)** لغة فهو البعد عن الأهل والوطن[4]، أما اصطلاحا هو يعبر عن حالة من يكون ملكا لشيء آخر غيره[5]. أو من يصبح غريبا اتجاه شيء معين أو شخص معين

---

1 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2 ، ص 23-24 .

• مستعرب أو استعراب، أصلهما اللغوي (عرب) عربا، فصح بعد لكنه .... (عرب) عروبا وعروبة و عرابة و عروبية والاستعراب هو فرع من فروع الاستشراق كما هو الحال بالنسبة للاستمصار والاستفراس والاستتراك وهلم جرا [معجم أسماء المشرقين، يحي مراد، ص 14، مرجع سابق] .

[2] - ابن المنظور، لسان العرب، دار اللسان العرب، بيروت، م 10، ص 641- 644.

[3] - يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص ص 16،17

[4] - إبراهيم مدكور، معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطبعة المصرية، الطبعة (1403هـ، 1983 مـ) ص 16.

[5] - جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر- تونس، الطبعة 2004 ص 36.

كان يرتبط به على نحو وثيق ..... ويعرف الشخص المغترب سياسيا بأنه هو ذلك الشخص الذي يكون لديه شعور دائم بالغربة عن المؤسسات السياسية القائمة وعن القيم السياسية الموجودة وعن القيادات التي تضطلع بأمر السلطة[1].

إن اغتراب الأنا يؤدي بالضرورة إلى تلاشى هوية الشعوب وقيمها ولأجل ذلك "كادت الرؤية القومية العربية لإشكالية الاغتراب في العقود الأخيرة ،و هي تغلف الفكر القومي كوجود و هوية و قيم ،و أهداف ،أن تؤنب الضمير الجمعي للأمة، إذا لم يتحرر من قيود الواقع العربي الذي حال بين الانسان و قضايا مجتمعه من جراء :انفصال النظر عن حاضره و ماضيه و مستقبله و عن الآخر بجميع صوره و أشكاله بعد أن ربط أنصار (الاغتراب) وعي التاريخ العربي و سيرورته ،بالضد من الآخر و تجربته أو في تقليدها ؟ بعيدا عن واقع الحياة العربية وهواجس الأمة و ضميرها الحضاري"[2]

اذ لابد أن يتحرر الفكر العربي الاسلامي من قيود الآخر و استقبال منتوجاته الثقافية و الفكرية كما هي ،بل معالجتها بالنقد و إعادة فحصها ،" فعندما تثير صدمة المواجهة مع الحضارة الغربية ردود أفعال مختلفة عن الغرباء عنها، منهم من يصاب بحالة من الانبهار تفقده نفسه، حتى إذا بدأ البحث عنها لم يجدها إلاّ في الذوبان الكامل في تللك الحضارة وهؤلاء هم دعاة التغريب"[3]. والتغريب إذن نوع من الاغتراب وهو ما يقصد به "حسن حنفي" حلول الأنا في صورة الآخر بالتقليد و التكرار الأعمى لثقافة الغرب .

و منذ أن "طرح الاستشراق مصطلح التغريب في الثلاثينيات من هذا القرن، لفت الأنظار إلى إحدى الغابات الكبرى التي يستهدفها الغزو الثقافي الغزو للفكر الإسلامي، وهي صيغ الثقافة الإسلامية بصيغة غربية وأخرجها من طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها".[4]

هكذا يفرز الاستشراق اغتراب العرب بهويتهم و تقاليدهم و أعرافهم و ثقافتهم و لغتهم فذابت بذلك الأنا تحت سيطرت الآخر. "تلك هي حقيقة ظروف الانسان المعاصر بصورة عامة و

---

[1] - محمد أحمد اسماعيل علي، المثقف العربي وفعاليته الاجتماعية، مجلة الوحدة،العدد29 ،ص 157

2 – علي حسين الجابري، الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه، دراسة في جدلية الخوف، دار مدلاوي للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة 1426،2005م ص 88.

3- أحمد عمر الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث الاسلامي، بدون طبعة، ص15.

4 – أنوار الجندي، شبهات التغريب في الغزو الفكري الاسلامي، المكتب الاسلامي ، د.ت، بدون طبعة، ص03.

الانسان العربي بصورة خاصة و هو يعييش تحت تأثير وطأة (غروب الحضارة) و تضخمها المادي ،التقني والمعلوماتي، على حساب الجانب الاعتباري ،و المعنوي، والأخلاقي ،حتى تعمقت مأساته ،و تعقدت اشكال الاغتراب التي عاشها، أو عايشها و تركه منفعلا ، باختلال الموازين و المعايير، و المقاييس، و طغيان أسباب القهر والاستلاب ،و غلبه لغة القوة ،و منطقه الكيوسي الغاشم، على حساب انسانيته و عقائده، ومنظوراته التي امتلكت عناصر توازنه و اعتداله في اطارها المتوازن"[1].

وانطلاقا مما سبق ،"فاغتراب الانسان المركب من احساسه بالغربة من مفاهيم الحق و الخير و الجمال تضاعف بسبب غروب حضارته و أفول معايير العدالة و المساواة و التكافل و التعاون ،وإذا كانت هموم المفكرين والمصلحين، في القرون المنصرمة نتيجة لالغاء التمايز الطبقي و الاجتماعي و القومي و الجنسي و الديني ،فإن البشرية تعيش اليوم صنوف التمايز (المعلوم) الذي يهدد الأمم و الشعوب و يضطهد الدول ، و يخترق السيادات ،والحدود و الحقوق متسلحا بجميع أسلحة التفوق و القهر الذي يخدم قوى خفية (توراتية /امبريالية) لا يكبح جماحها غير، وحدة تقوم بين المظلومين و المنصفين، والعقلانيين و التنويريين الانسانيين، تقود مسيرة الدفاع عن الحضارة و تعالج اختلالها ،وصولا الى" اصلاح حال الانسان ،وهو أمر ممكن التحقق!"[2].و نظرا لارتباط المفكرين بوجودهم العربي الاسلامي و اغترابه بثقافته و تراثه وكل ميادينه الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية قام "**علم الاستغراب Occidentalisation في مواجهة التغريب Westernisation الذي امتد ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهذه استقلالنا الحضاري، بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة**".[3]

ويرجع مصطلح "الاستغراب" في هذا اللفظ إلى الدكتور"**حسن حنفي**" من خلال كتابة " **مقدمة في علم الاستغراب**" الذي صدر في أواخر سنة 1990 ميلادي جاء هذا الكتاب ليستكمل مشروعه الثقافي الذي انطلاق منذ أوائل ثمانينات هذا القرن الذي هو "التراث والتجديد" وإذا كان

1 - علي حسين الجابري، الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه، دراسة في جدلية الخوف، دار مدلاوي للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة 1426،2005م ص129

2 - المرجع نفسه، ص 129.

3 – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ،ص18

مؤلفه قبل الأخير " من العقيدة إلى الثورة" هو التطبيق العمل ي للبيان النظري الأول عن موقفنا من التراث القديم فإن هذا الكتاب" مقدمة في علم الاستغراب" هذا البيان النظري للجبهة الثانية . يقع هذا الكتاب على أكثر من ثماني مائة صفحة من القطع المتوسط يحاول من خلاله أن يطرح على بساط البحث هوية الوافد الغربي، بعد أن طرح من قبل في مؤلفات سابقة أسئلة حول الموروث. وقد اعترف حسن حنفي بأنه لم يكن السّباق بالدعوة لقيام علم الاستغراب لأن رفاعة الطهطاوي قد فتح بابه من خلال كتاب " تخليص الابريز في التخليص باريز " وكذلك خير الدين التونسي في كتابه " أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك" وفي هذا الصدد يقول حسن حنفي :" **إرهاصات علم الاستغراب في جيلنا، وتحدث الكثير منا عن إمكانية إنشاء هذا العلم، بل ضرورة ذلك حتى يساعدنا على الخروج من نطاق التبعية الثقافية للغرب، ولكن الغالب على هذه الارهاصات أنها تعبير عن نوايا نعلنها جميعها دون أن تتحول هذه النوايا إلى علم دقيق... ولكن خروج هذه المقدمة في(علم الاستغراب) في هذه اللحظة يدل على أن لحظة الإعلان عن النوايا قد تم تجاوزها وأن الارهاصات الأولى قد تم تحويلها إلى علم دقيق... والمحاولة الأولى هي هذه المقدمة في علم الاستغراب**"[1].

أعلن" حسن حنفي" موقفه من التراث الغريب الذي جاء بشكل مجمل في كتابه " مقدمة في علم الاستغراب " على شاكلة ابن خلدون رغبة منه في تحديد الأصول والكليات في الفكر الغربي دون الاهتمام بالجزئيات حيث قال: "**كان هم قصر العمر هو الذي دفعني إلى الاكتفاء بالكليات تاركا الجزئيات لأجيال أخرى قامة أحد المعالم وأضع الأسس لغير وضع البناء** " [2].

لقد اهتم" حسن حنفي" بهذا العلم الجديد في الجبهة الثانية من مشروعه الحضاري (التراث والتجديد) لمقاومة طغيان الاستشراق واستبداده الذي طغت عليه مناهج تعبر عن الوعي الأوربي و الغربي يقوم بدراسة حضارة لا ينتمي إليها أصحابه "فإن هذا الاستشراق بنفسه وفي نفسه كطاقم من المعتقدات ،وكمنهج للتحليل لعاجز عن التطور، بل انه بحق النقيض المذهبي للتطور، فمنظومة المركزية هي أسطورة تطور الساميين المعاق ،ومن هذا المنبت تتدفق أساطير

1 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ،ص62
2 – المصدر نفسه، ص 235.

أخرى، و كل منها يظهر السامي النقيض الكامل الغربي و ضحية الخاصة"[1] ،و ظهور الاستشراق في ايديولوجية مركزية غربية ينمي من عظمته ويقزم شأن العرب وقيمتهم.

إذن على "**خلاف الاستشراق الذي وقع فيه التحيز والتشوية لثقافات مختلفة بأهداف غير معلنة، يجعل حسن حنفي من علم الاستغراب علم موضوعي يسعى إلى معرفة الآخر من خلال الأنا الأكثر نزاهة وحيادا وموضوعية على خلاف الآخر المشيع بتراثه وعليه فالأفيد للتراث الغربي نفسه وللعلم دراسته من باحثين غير منتمين له، لهم بناء شعوري مخالف للموضوع المدروس تمكنهم من الرؤية العلمية الصحيحة والصادقة خاصة وأنا وعي الباحث وأصالته يحفظانه من الوقوع في أخطار الذاتية والانتقام، ويجعلونه قادرا على إعطاء النظرة العلمية المؤسسة على التحليل المباشر للواقع** "[2].

المبحث الثاني: من جدل الأنا والآخر إلى بناء الاستغراب:

1 – أدوارد السعيد، الاستشراق، مؤسسة الابحاث العبرية، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1981، ص.305

2 - حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، السنة 1983، ص 09

إن الجدل القائم بين الأنا والأخر ليس مرّده إلى وجود إشكالية العلاقة بين الاثنين فحسب كما هو في فكرنا القديم ويتكرر في فكرنا المعاصر بل يتعد الأمر كذلك بصورة الأنا وصورة الآخر من حيث الوضوح والغموض من حيث الدقة والشمول، من حيث الكفاية والنقص ومن حيث السلب والإيجاب [1].

إن حسن حنفي يحدد طبيعة العلاقة بين "**الأنا**" **و** "**الآخر**" بأنها علاقة تضاد لا علاقة تماثل دون أن ينفي هذا ضرورة النظر فيها وتماثلها وإكمالها وهو يميز بين طبيعة حضارة الأنا الإسلامية وحضارة الآخر الغربية، والخلاف بينهما هو خلاف بين طبيعتين، فحضارة الغرب، كما يقول حضارة ذات طبيعة طردية أي نشأت بالطرد المستمر من المركز ورفضا له، وكتطور صرف وهو تطور صرف دون بناء " **ولا توجد ماهية مسبقه له كما هو الحال في الوعي الإسلامي**" ولهذا يطغى على طابع تفكيرها المنهج التاريخي كما ظهر في المدرسة التاريخية التي سميت بالعلوم الاجتماعية ثم الاسبانية، على حين أن الحضارة " الإسلامية حضارة ذات طبيعة مركزية ماهوية، أي ذات ماهية مسبقة، وهذا فهي متمركزة حول رسالتها وعقيدتها الأول، إنها تنسج علومها من أصول الدين وأصول الفقه والتصرف حول مركز واحد، وهي تنطلق من هذا المركز وتبدع من خلاله[2] . هنا نلاحظ أن حسن حنفي يرى أن الحضارة الإسلامية تقتصر علومها على مرجع ديني (العقيدة) أما (الغرب) الحضارة الغربية فتوجهها اجتماعي إنساني.

وانطلاقا مما سبق يحاول حسن حنفي أن يقدم الأنا بصورة مغايرة لما يرى الآخر عنها في الاستشراق القديم الذي نشأ واكتمل في عنفوان المد الاستعمال الأوروبي، وهي تجاوز النقص و التبعية والاستسلام للآخر إلى القوة والعظمة والعدالة، وبالتالي "**تجاوز عقدة النقص**

التاريخية في جدول الأنا والآخر، على مستوى اللغة والثقافة والعلم وبالتالي التخلص من الخوف والجرأة في قلب المائدة في وجه الخصوم، فخثر وسيلة للدفاع الهجوم".[3]

1- جيلالي بوبكر، التراث والتجديد، بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي، وفي مشروعه الحضاري، مرجع سابق، ص 57.

2- د. أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في ميلادي الستين، مرجع سابق، ص 166-167.

[3] - حسن حنيفي، ماذا يعني علم الاستغراب، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1،بيروت 2000، ص 44.

والهجوم هنا لا يعني تدمير الثقافة الغربية وإنما على العكس من ذا التعرف على مكوناتها الأساسية ورد عناصرها إلى منابعها و هذا يتضح في حديث عندما قال: "**لا ينبغي السيطرة أو الهيمنة بل ينبغي فقط التحرر من أسر الآخر حتى يوضح الأنا والآخر على نفس المستوى من الندية والتكافؤ**" [1] .

وهكذا يصبح علم الاستغراب في نظر حسن حنفي– العلم الوحيد، القادر على استرجاع الوعي الضائع بالأنا في ظل حضارة الآخر، "**إن مهمة هذا العلم الجديد هو إعادة الشعور اللاأوروبي إلى وضعه الطبيعي والقضاء على اغترابه، وإعادة ربطه بجذور القديمة، وإعادة توجيهه إلى واقعه الخاص من أجل التحليل المباشر له، وأخذ موقف بالنسبة لهذه الحضارة التي يضنها الجميع مصدر كل علم، وهي في الحقيقة حضارة غازية لحضارة أخرى ناشئة نشأة ثانية أو تعيش إحيائها ونهضتها.**[2]

فالآخر "سيتوقف عن التضخم والتمدد والانتشار حينما تكون الذات قادر على جسم خياراتها وتحديد أولوياتها، وعلى التعايش مع الوعي الخاص بفردانيتها وحضورها الأنطلوجي المستقل لأن فهم الآخر لا يمكن أن يكون مثمرا وبناء إذا ما ظلت الذات عاجزة عن تحديد خانات قوتها وضعفها، وغير قادرة على الغوص في أعماقها مالا يستطيع الآخر فهمه ولو أنفق كل كنوز المعرفة برمتها"[3].

ومن هنا نستنتج أن" حسن حنفي" يرى أن حضور الفكر العربي أنطولوجيا وقدرته على تحقيق مشروع نهضوي عربي يمكنه من التفوق على الآخر سياسيا و اقتصاديا وثقافيا وهنا يرى أن " **معنى الفكر العربي المعاصر إنتاجنا الفكري منذ فجر النهضة العربية حتى الآن .وقد بدأت بروادها الثلاث ،الأفغاني مؤسس حركة الاصلاح الديني ،والطهطاوي مؤسس الليبرالية الحديثة ،وشبلي شميل رائد التيار العلمي العلماني و تمتد جذور هذه التيارات الثلاثة في التاريخ قبل عصر النهضة، عند محمد بن عبد الوهاب ،وابن القيم، وابن تيمية ، وأحمد بن حنبل بالنسبة للإصلاح الديني وعند الشيخ حسن العطار و ابن رشد و المعتزلة و فقهاء السياسة الشرعية المتأخرين مثل الطرطوش ابن الأزرق بالنسبة للتيار الليبرالية، وعند**

[1] - حسن حنفي، المصدر السابق، ص 51.
[2] - حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، مصدر سابق، ص 07.
[3] - نخبة من الأساتذة، حروف الحكمة العلمية، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1 ، سنة 2005، ص 135.

العلماء المسلمين ،علماء الرياضات الطبيعيات و اللغة و التاريخ بالنسبة للاتجاه العلمي العلماني ولكن يكفينا عصر الرواد و ما بعده ولا ما قبله "[1]

ويحاول حسن حنفي ملاحقة التغيرات التي طرأت على ساحة الفكر العربي الحديث والمعاصر في تياراته الثلاث من الوجهة التاريخية متتبعا إياها من الأعلى المؤسس إلى الأدنى، فالأدنى تزولا عبر سلسلة متواصلة من الأجيال على صعيد كل تيار، ويصور ذلك بقوله:" **ويضم هذا الفكر إنتاج أربعة أجيال في كل تيار، إذا الجيل الخامس، فبعد الرائد الأول للإصلاح الديني وهو الأفغاني أتت ثلاثة أجيال أخرى بعده محمد عبده ورشيد رضاء وحسن البناء وحدثت الأزمة في الجيل الخامس على يد الجماعات الإسلامية الحالية، وبعد الرائد الأول اللبيرالية رفاعة رافع الطهطاوي جاءت أجيال ثلاثة بعد أحمد لطفي السيد، وقاسم أمين وعلي عبد الرزاق وطه حسين والعقاد، فم ظهرت الأزمة في الجيل الخامس بعد القضاء على الليبرالية بعد ثورة 1952 وعودتها في حزب الوفد الحديد وعند خالد محمد خالد.وبعد الرائد الأول للاتجاه العلمي العلماني عند شبلي شميل توالت الأجيال الثلاثة بعده، سلامة موسى ونيقولا حداد ويعقوب صروف وإسماعيل مظهر و زكي نجيب محمود الأول ظهرت الأزمة عند الجيل الخامس عند زكي نجيب محمود الثاني وفي ثنائية العلم والايمان"**[2].

ورغم التمايز بين التيارات الثلاثة الإصلاحية، والليبرالية والعلمانية إلاّ أنها جميعها تجعل من الغرب نموذجا للتقليد والتحديث، ثم يجمل "حنفي" هذه التيارات إلى اتجاهين متخاصمين السلفية والعلمانية مشيرا إلى سمات كل منها، فهو يرى أن السلفية تنطلق من الإيمانيات والإلهيات وليس من العقلية والإنسانيات دفاعا عن حقوق الله، كما أنها تستخدم فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية بوصفها وسيلة للضغط الاجتماعية، وذهبت إلى : " **تقليد القدماء أحد بالعجز أمام العصر الذهبي الأول فما ترك السلف إلى الخلف شيئا، وقد خلف من بعدهم خلفا أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، نشأت الحركات السلفية والعودة إلى الأصول هروبا**

1 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، الفكر العربي المعاصر،ج2،القاهرة،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 1998،ص51.

2 – علي رحومة سحبون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجا، دراسة تحليلية مقارنة، شركة الجلال للطباعة 2007،ص ص.130،129

من الحاضر وتعويض عن أزماته في عظمة الماضي و الاقتداء بنموذجه وسنين أبطاله مع أن الحاضر مملوء بنماذج الجهاد في جنوب لبنان وفي فلسطين وفي أفغانستان " [1].

وانطلاقا مما سبق يعول" حسن حنفي" على تحرير الذات العربية وذلك " **بالتجديد من الداخل وليس من الخارج الثقة بالذات والقدرة على الإبداع، والقدرة على أن يتحمل الإنسان مسؤولية ما تحمله القدماء من قبل، وإنا لسنا نقات علوم لا من القدماء ولا من الغرب المعاصر، ولكننا منذ مبدعو علوم، وأنه في حقيقة الأمر فإن النهضة العربية الإسلامية الحالية لن تسير خطوة إلى الأمام أكثر مادامت تعتبر نفسها ناقلة علم وكأنها تلميذ ينقل من أستاذ على الدوام "** [2].

ويقول أيضا " **ولما كنا شعوبا تعتمد على غيرها من الغذاء والكساء والسلاح والعلم فإن التنمية المستقلة تصبح هدفا قوميا عاما ومطلبا وطنيا بحيث يتم تحرير الإدارة الوطنية من الضغوط الأجنبية، بتوجيه التنمية المستقبلية، تنمية المواد الطبيعية المادية والبشرية اعتمادا على الذات**"[3] .

وهنا نقول أن حسن حنفي ليس من دعاة الانغلاق الفكري (الدغمائي) على الذات بل نجده في العديد من كتاباته يدعوا إلى الانفتاح على الأخر، لكنه يؤس للإبداع والتجديد وتقوية الذات وليس كالذين اهتموا بالغرب فبدل" **أن يرى المفكر والباحث صورة الأخر في ذهنه رأى صورة في ذهن الأخر، بدل أن يرى الأخر في مرآة الأنا رأى الأنا في مرآة الأخر، ولما كان الأخر متعدد المرايا ظهر الأنا متعدد الأوجه** " [4]. وهذا ما أطلق عليه حسن حنفي بالاستغراب المقلوب.

وبقدر ما هو رافض للوافد الغريب بصورته التغريبية فهو رافض للانغلاق "**فكلما وعي الإنسان التراث القديم وزاد إحساسه بمشاكل العصر لجأ إلى التوفيق أو الاجتهاد وأنا في كل مرة أجد أنني بحاجة إلى أن أستعير أو أقتبس بعض النظريات الحديثة لأجعل ثقافتي الإسلامية قادرة على مواجهة تحديات العصر ألجأ إلى هذا الاجتهاد.ولقد فعل العلماء و**

1 - المرجع السابق، ص 131- 132.
2- حسن حنفي، السيار الإسلامي والوحدة الوطنية، القاهرة، مكتبة مدبولي 1988، ص 47.
3 - حسن حنفي، المشروع الحضاري الجديد، ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105،مارس 1994، المجلس القومي للثقافة العربية، ص 23.
4 -حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ، ص ص55،65

القدماء هذا حتى في مسألة التأويلات للعقائد الدينية، فلم يروا حرجا على الإطلاق في الحديث على الله في صفاته وذاته وأفعاله باعتبار أن ذلك كله مجاز وكل ذلك قياس للغائب على الشاهد "[1]

وعلى هذا الأساس يرى حسن حنفي أن هناك قلة من الباحثين – وهو أحدهم بالطبع– ممن أتيحت لهم الفرصة للدراسة في الغرب وهم يمتلكون الثقافتين,كما أن موضوع الحضارة الأوربية عالجته فلاسفة أوروبا أنفسهم كوحدة واحدة,وكجزء من فلسفة الحضارة ويعطي أمثلة لهؤلاء: هوسرل و بربجسون ونيتشه وشبينجلر وشيلر وسولوفيف الذي لم يكن يتجاوز الواحد والعشرين عاما عندما عالج وحده في رسالة دكتوراه موضوع "أزمة الفلسفة الغربية وعلى الرغم من تنوع الاتجاهات وتعدد جوانب التراث الأوروبي,إلا أن هناك سمات مشتركه تنعكس على الوعي الأوروبي كما أن الوعي الحضاري الذي يتحدث عنه حنفي هو الوعي الفلسفي الذي إليه يعود أي وعي سابق ,ومع ذلك فهو لا يرفض مجيء متخصصين في فروع المعرفة الأخرى للقيام بنفس المهمة [2].

"**فالفكر الفلسفي إبداع فردي ولكنه يكون أنجح أكثر فعالية بمشاركة المؤسسات العلمية والثقافية في صنعه ....ويصب كل ذلك في النهاية في المشروع القومي العربي الذي يساهم الجميع في بلورته وصياغته ،طبعا لحاجة كل عصر وتغير نظم العالم .حينئذ لا يصبح الفكر الفلسفي العربي مجرد استهلاك للفكر الفلسفي القديم أو الفكر الفلسفي الحديث بل تنظير لواقع عربي جديد في عالم متغير .حلم أم واقع ،ثمن أم تحقيق ،هذا ما يمكن أن يثبته الفكر العربي الفلسفي المستقبلي**"[3].

وعليه فإنه "**لا يوجد شعب ينهض أو يأفل دون أن تظهر لديه فلسفة التاريخ تعلن عن نهضته كما نفعل الآن أو تعلن عن نهايته كما هو الحال في فلسفات التاريخ المعاصرة . فلسفة التاريخ هي المؤثر على حركة الشعوب إقداما أو إحجاما تقدما أو نكوصا** "[4]

[1] - حسن حنفي، اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية ،مصدر سابق ،ص 246

[2] - أحمد عبد الحليم عطية –جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاد الستين، مرجع سابق ص 199.

[3] - حسن حنفي-حصار الزمن، مفكرون، مركز الكتاب للنشر، مصر الطبعة الأولى سنة 2004 ،ص178 -179

[4] - حسن حنفي ماذا يعني علم الاستغراب-مصدر سابق ص 64

وفي إطار الوعي التاريخي قام حسن حنفي بدراسة الوعي الأوروبي من خلال مشروع "**علم الاستغراب**"وذلك ضمن ثلاثية سماها " ثلاثية الوعي الأوروبي " وهي مصادر الوعي الأوروبي و بدايته و نهايته.

فمن حيث النشأة يقول "حسن حنفي": " **للوعي الأوروبي أربعة مصادر:اثنان معلنة، واثنان غير معلنة، فالمصدران المعلنان هما المصدر اليوناني (creco-romain) ،والمصدر الثاني اليهودي المسيحي(judeo-christian) أما المصدران غير المعلنين فهما المصدر الشرقي القديم ،و البيئة الأوروبية نفسها** "[1]

وغالبا ما يذكر المصدران الأولان ولا يذكر المصدران الآخران إياهما "**بأن الحضارة الاوروبية خلق عبقري أصيل على غير منوال ،غير معتمد على حضارات سابقة عليه ، وغير مرتبط بالزمان و المكان**"[2].

ذلك لأن الغرب قد اعتبر اليونان اصلا عنصريا على غير مثال إذ لم يسبقه أحد ،و كأن الهند لم تؤسس المنطق الصورية في البوذية ولم تسهم في نشأة علم الحساب ،وكأن فيثاغورس و طاليس لم يكونا على اتصال بالنحلات الشرقية ،و كأن أفلاطون لم يدرس الرياضيات في مصر ،ولما كان الغرب وريث اليونان فقد ظل نسيجا عبقريا مثله على غير منوال[3].

وبالرغم من التباين و الخلاف في جوهر كل من اليهودية و المسيحية – كما لاحظ سلسوس من قيل – إلا أن الأصل اليهودي المسيحي قد جمع بينهما إبتداء من الكتاب المقدس ، حيث ضم العهد كخاتمة لعهد قديم ،وكنهاية للنبوة و اكتمال لها بالرغم من رفض اليهود .ونظرا للتآلف الطائفي العنصري بين الحضارتين اليهودية و المسيحية ضد الحضارات الأخرى ،اسلامية كانت أو من حيث التصديق بالعقائد ،أو من حيث أحكام السلوك العملي لأهل الكتاب ،و كأن الحضارة الاسلامية بعد ترجمتها إلى اللاتتينية لم تكن أحد روافد النهضة الأوروبية الحديثة و الفلسفات العقلية ، و كأن الرشدية اللاتينية لم تساهم في نشأة العلم الحديث في الغرب.[4]

1 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ، ص 116
2 – المصدر نفسه، ص 116
3 – حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص 32
4 - المصدر نفسه، ص 32

1 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ،ص133

وعلى هذا النحو يقول "حسن حنفي" و ما تصوره العصر الوسيط على أنه بحث عن الله و عن ملكوت السموات إن هو في الحقيقة إلا بحث عن مشروع الانسانية الاوروبية لوضع أسس علم شامل .الفينومينولوجيا على هذا النحو استمرار لعلمنة المعطى المسيحي خاصة بالعودة إلى« المواعظ على الجبل » بروح العصور الحديثة كما تجلت في المثالية الترنسندنتالية.[1]

ولا يكاد أحد يذكر البيئة الأوروبية نفسها ،كأنما الحضارة الأوروبية حضارة بلا بيئة ، نشأت بلا عوامل و دوافع ،بلا ظروف و ملابسات ،سواء فيما يتعلق بطبيعة المعطى الديني الذي كان لديها ،مثل عقيدة الإختيار التي كانت موجودة وراء العنصرية و الاستعمار ،أو الروحانية المغالية و القائلة أن ملكوت السموات ليس في هذا العالم و أن للداخل الأولوية المطلقة على الخارج ،مما سبب رد فعل جذريا تبدي في المادية الفظة ،واعتبار ملكوت السموات في هذه الأرض مقررا أولوية الخارج على الداخل .ولا يكاد أحد يذكر أيضا طبيعة

أيضا طبيعة السلطة الدينية التي نشأت في الغرب و اعتبار أن للوحي مصدرين :الكتاب و التراث ،الوحي و الكنيسة مما تسبب في نشأة السلطة الدينية و احتكارها للتفسير و العلم ،و سيطرتها على السلطة السياسية وقد أحدث هذا رد فعل مضادا لصالح العلم و العقل والسلطة المدينة، فنشأ الوعي الأوروبي معاديا للسلطة الدينية داعيا للعلمانية ،معاديا للدين باسم العلم و العقل و المدينة.[2]

هذه هي المصادر التي ضربت حولها مؤامرة الصمت سواء عند الفلاسفة أو عند مؤرخي الفلسفة ولا تكاد تذكر إلا لدى الباحثين المتخصصين في البحث عن الدقيقات.[3]

أما من حيث التطور فقد مر الوعي الأوروبي بخمس مراحل: عصر أباء الكنيسة ،الفلسفة المدرسية ،عصر الأحياء و النهضة ،عصر العقلانية و التنوير ثم عصر العلم و التقنية.[4]

2 – حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي ،مصدر سابق ،ص33

3 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة2000 ،ص133

4 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي ،مصدر سابق ،ص33

ففي مرحلة آباء الكنيسة تشكل الوعي الأوروبي باعتباره وعيا دينيا أفلاطونيا اشراقيا، تحولت فيه آلهة الدين الجديد و ملائكته، ونظريات الدين اليونانية إلى نظريات للدين الجديد ،وتمت ظاهرة التشكل الكاذب المضاد أي أن المضمون اليوناني الروماني أخذ شكلا مسيحيا، حدث التشكل الكاذب في الجوهر لا في العرض، وفي المضمون لا في الصورة وفي المعنى لا في اللفظ وفي الشيء لافي التصور. وقد استغرق ذلك القرون السبعة الأولى التي تشكلت فيها العقائد المسيحية و التي أتى الاسلام بعدها ليتحقق من صدقها.

وفي الفلسفة المدرسية تحولت التعاليم الدينية من الكنائس إلى المدارس و من المعابد إلى الجامعات ،كما تحول فيه الوعي الديني الأوروبي من الافلاطونية الاشراقية إلى الأرسطية الطبيعية .وعاد التشكل الكاذب المضاد مرة ثانية، أي أخذ النسق الأرسطي في الحقيقة واستعمل الدين الجديد في الظاهر، وقد ظهر في هذه المرحلة أثر الفكر الاسلامي وامتداده سواء من المتكلمين أو الحكماء تدعيما للتيار العقلاني المدرسي حتى اتحدت الفلسفة بالدين اسوة بالنموذج الاسلامي ،وأصبح المسلم نموذجا للفيلسوف في مقابل اليهودي و المسيحي.[1]

وفي عصر الأحياء في القرن الرابع عشر بدأت العودة الى الأصول ، وهو اتجاه اسلامي ،بالبحث عن النصوص والتعامل معها مباشرة دون وساطة أحد. وكانت الأصول في الآداب القديمة،وظهر المصدر اليوناني الروماني مخلصا للوعي الأوروبي من الأصل اليهودي المسيحي.

و في عصر الاصلاح الديني في القرن الخامس عشر قامت الحركة نفسها ،العودة إلى الأصول ولكن في الدين من أجل الاصلاح و القضاء على سلطة الكنيسة و احتكارها للتفسير و العلم ،و تأكيد حرية الانسان في الفهم و التفسير ورفض الوساطة بين الانسان و الله ،واعطاء الأولوية للداخل على الخارج ، وللأخلاق على العقائد، ولم يكن النموذج الاسلامي بعيدا عن غايات الاصلاح.[2]

وفي عصر النهضة حدث نفس الشيء ،كل فلسفة عصر النهضة كانت تدور حول الانسان وكرامته وحريته وعقله واستقلاله، وكأن المعتزلة تعود من جديد للتوحيد والعدل فإذا ما أتينا إلى بدايات العصور الحديثة منذ ديكارت في القرن السابع عشر .هناك دراسات عديدة تقارن بين

1- مصدر نفسة، ص 33.

2 – حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص ص33،34

المنقذ من الضلال، وبين تأملات الفلسفة الأولى لديكارت لكي تميز كيف أن ديكارت عرف الشك عند الغزالي وكيف أن المنقذ من الضلال ترجم إلى اللغة اللاتينية ،و كيف أن طريقه في الذهاب من الشك إلى اليقين ومن المعرفة الحسية إلى المعرفة اليقينية كما هو طريق المسلمين.[1]

مع سبينوزا نفس الشيء في رسالته في اللاهوت و السياسة له رسالة إلى صديقه "جولين بورج" يقول فيها :يا صديقي أنت تسألني كيف نصلح الكنيسة ؟ نصلح الكنيسة المسيحية ،عندما نتبنى نظام الكنيسة الاسلامية ،أي لا كنيسة.

أصبح الإسلام نموذجا للتفكير عن وعي أو عن لا وعي عند مفكري الغرب في بداية العصور الحديثة (ديكارت وسبينوزا).[2]

وهكذا أتت العقلانية في القرن السابع عشر تتويجا" للعقل الذي أصبح له سلطان على كل شيء ،الدين والفلسفة ،والعلم و السياسة و الاجتماع و الأخلاق و القانون. وبلغ الوعي الأوروبي أعلى درجة من الشمول و الاتساع. ثم أتى عصر التنوير في القرن الثامن عشر بعد تفجير العقل في المجتمع فاندلعت الثروات واهتزت الأنظمة وسقطت العروش والتيجان، وتأسس كل شيء في العقل و الطبيعة، وخرجت أفكار الحرية و العدالة و المساواة و التقدم الانسان و الطبيعة والتاريخ، وتحولت الفلسفة إلى ثورة والفيلسوف كاتب للجماهير وقائد لهم.

ثم أتى عصر الثورة الصناعية عندما تراكم العلم، وظهرت الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة، وحلت الآلة محل الانسان في الانتاج ،و ظهرت الطبقة العمالية، وقامت الثورات الاشتراكية. ثم أتى القرن العشرون لإحداث الثورة الصناعية ثانية: عصر التقنية ،وفي الوقت نفسه بداية أزمة العلم، وأزمة الوعي الأوروبي، وبداية النهاية منذ ديكارت حتى هوسرل، منذ الأنا أفكر حتى الأنا موجود، وبالتالي تكون الملحمة قد شارفت على النهاية.[3]

والذي يقرأ فلاسفة التاريخ في القرن العشرين يجد أن الكل ينتهي إلى نفس النتيجة شبنجلر (أفول الغرب) وأن الغرب قد انتهى وقد أكمل دورته وبانكسون يقول في الغرب:إن هذا العلم ما هو الا آلة تصنع آلهة طوال الوقت مرة العلم ومرة العقل ومرة الانسان. وبول آزار يتكلم عن أزمة

1 – حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب؟ مركز الدراسات المعرفية، القاهرة،،4،02،2009 ،ص 10
2 – المصدر نفسه، ص 11
3 – حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الطن العربي، مصدر سابق ، ص ص،43،44

الوعي الأوروبي، ماتشلير يتكلم عن قلب القيم وأهم ما تميز به العصر الحديث أن القيم انقلبت، راسل يتكلم على أن الحضارة الغربية في محنة، تحت المساءلة، نيتشه يتكلم عن العدمية التامة التي انتهت اليها الحضارة الغربية، نيتشه قال (توفي عام 1900)أن الله قد مات وعاش الانسان وسنة 1950 روران بارت قال: إن الانسان أيضا قد مات و لم يعد أحد يعيش.[1]

ثم يتوقف التاريخ الانساني بعد الغرب الحديث، ولأن الزمان نفسه كله توقف، وأصبح الوعي الأوروبي ممثلا للحضور الانساني جميعا في الماضي والحاضر والمستقبل.[2]

يقول "حسن حنفي" أن هناك تحولات في العالم و هذه أهمية علم الاستغراب من يدري ربما الغرب قد بدأ و انتهى، ربما العصور الحديثة قد بدأت من أربع أو خمسة قرون و الآن شارفت على الانتهاء، هذا ما يسمى نظريات ريح الشرق أن الطائر العنقاء قام من الصين و حط ثم يبعث من جديد لكي يعود إلى مصدره الشرق الأول".[3] وفي الأخير يختم "حسن حنفي" مؤلفه "مقدمة في علم الاستغراب" بخاتمة يحاول فيها أن يبرز أهم الانتقادات التي يمكن أن توجه إليه بخصوص هذا العمل و محاولة الرد عليها فيما أسماه ب"محاولة في النقد الذاتي" وتتلخص هذه الانتقادات أولا في التذبذب المستمر بين التحليل والمادة العلمية وثانيا في صعوبة التصنيف والاختيار، وثالثا في التذبذب بين العصور والتأريخ بالقرون ،ورابعا في اختلاف أساليب الفصول لدرجة عدم التجانس ، وخامسا في تحليل الوعي الحضاري للأنا أو الآخر دون أساسه التاريخي و الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي تكون فيه.[4]

ففيما يخص الانتقاد الأول فهو يرغب في أن يفيد هذا الكتاب عدد كبير من المتخصصين ومن الجمهور العادي، بالإضافة لهدفه في أن يكون عمله هذا هو مجرد توجيه للبحث الذي سيقوم به الباحثون، ولكي يرد على الانتقاد الثاني يبرز حقيقة تداخل المذاهب الفلسفية الغربية لدرجة يصعب معها الفصل بين المذاهب والشخصيات ، بينما يرد على الانتقاد الثالث حينما يوضح أن اهتمامه كان منصبا على المذهب لا العصر ، بالإضافة من جهة تعدد وتنوع المذاهب وبينها من يشد عن وضعه داخل إطار أو تصنيف، ومن جهة أخرى لتفاوت الفلاسفة في

1 – حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب؟ ،مصدر سابق ،ص 11
2 – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة 2000ص 679
3 – المصدر نفسه، ص 18

4- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مرجع سابق ،ص 207

الأعمار حيث لم يكن يبغي حنفي سوى الرؤية العامة أو "**البانوراما** " على حساب الوقائع الصغيرة أو الأسماء الفردية ،ويرد على الانتقاد الرابع حينما يحاول أن يرجع ما حدث بطبيعة كل من الحضارتين العربية الإسلامية أو الأوروبية الغربية ذاتها فالتراكمات التي تمت في الوعي الأوروبي ليست على نفس المستوى والدرجة من الاشتداد وخاصة في نهاية (القرن العشرين) وقد أراد الإفصاح عن هذه الاعتمادات الأخيرة في الوعي الأوروبي وهي كثيفة لدرجة كبيرة[1].

ويذكر حسن حنفي في الأخير "أن العيب الأكبر في هذه المقدمة هي هموم قصر العمر ،"**فالوقت يمر والعمر ينقص والأجل قادم ,وقد حتم ذلك سرعة الانجاز دون شطب أو تعديل صياغة أولى ولا وقت لثانية ,يكفي التدفق الصادق ،وتكفي الحدوس والرؤى ولعل جيلا آخر لديه أكثر فسحة من الوقت تكون أقدر على الإكمال لمزيد من الأحكام** "[2].

و الهموم التي كانت تراوده قد تمثلت فيما يلي :-عرض ملحمة الوعي الاوروبي و حكاية قصته من البداية إلى النهاية -إعطاء وجهة نظر في تاريخ الفلسفة الأوروبية .

-عدم اتساع مدى العمر لعرض نظريته ثم تطبيقها كما حدث مع جبهة التراث القديم ،و هنا يقول: "**خشية ألا يمتد بنا العمر نظرا لطول الجبهة الأولى واتساعها وإعادة بناء علومها العقلية النقلية الخمسة وعلومها الرياضية و الطبيعة و الانسانية بفروعها جميعا صدرت هذه المقدمة في "علم الاستغراب" و هي تلهث وراء الزمن لتلحق بما فات** ".[3]

ومع ذلك كله حاول "حسن حنفي" أن يضع أسس علم جديد منهجه تحليل الآخر في وعي الأنا وغاياته التحرر منه ورد حدوده إلى وضعه الأصلي و الطبيعي.

المبحث الثالث: آفاق المشروع ورأي المعاصرين فيه

أ) - نتائج الاستغراب :

[1] - المرجع نفسه ص 207

[2] - حسن حنفي ,مقدمة في علم الاستغراب ,مصدر سابق ص 785

3 – المصدر نفسه ،ص 785

لقد سعى حسن حنفي إلى تقديم محتوى معرفي من خلال مشروعه علم الاستغراب "**يهدف إلى دراسة الغرب من جميع النواحي وجعله" تيارا عاما في البلاد** "[1] من خلال تداوله وتناوله من قبل الباحثين في الأجيال اللاحقة وعليه ستكون نتائجه –وفق منظور حسن حنفي – كالآتي :

1- السيطرة على الوعي الأوروبي أي احتواؤه بداية ونهاية ،نشأة وتكوينا [2] حتى تتمكن من معرفة نقاط قوته وضعفه وبالتالي يقل شأنه وتظهر محدودية فكره .

2- دراسة الوعي الأوروبي على أنه تاريخ وليس خارج التاريخ[3] وهذا معناه أنه بفضل الوعي التاريخي العربي الإسلامي من خلال علم الاستغراب يعاد الوعي الأوروبي إلى التاريخ[4] بعد أن كان خارجا منه ويصبح تجربة بشرية كباقي التجارب الأخرى.

3- رد الغرب إلى حدوده الطبيعية الأولى وإنهاء الغزو الثقافي وإيقاف المد الذي لا حدود له ،وإرجاع الفلسفة الأوروبية إلى بيئتها المحلية التي منها نشأت حتى تظهر خصوصيتها التي أمكن تعميمها من خلال الاستعمار والسيطرة و أجهزة الإعلام في لحظة ضعف الأنا وتقليده للآخر واقتصار تحرره على الأرض دون الثقافة، وإرجاع الثقافة و الحضارة إلى الجغرافيا والتاريخ، إذ أن المسافة بين البيئة الجغرافية والتاريخية وبين الثقافة والحضارة الأوروبية متباينة للغاية، فالأولى محددة والثانية لا محددة، وإذا كان العام قد انتقل من الخاص في عصر الريادة الأوربية بالأمس فإن العام يمكن أن يعود إلى الخاص في عصر الانحسار الأوربي اليوم.

4- القضاء على أسطورة الثقافة العالمية، واكتشاف خصوصيات الشعوب[5] حتى لا يكون هناك تفاوت ضخم بيننا وبين الآخر وحتى لا تكون الحضارة الغربية هي المركز والحضارات الأخرى في الأطرف أي لابد أن تصبح كلها في مستوى واحد فيقام التوازن والتفاعل الحضاري.

5- إفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية وتحريرها من هذا الغطاء الذهني وهذه البنية العقلية حتى تفكر الشعوب بعقلياتها الخاصة وأطرها المحلية، فتتعدد الأنماط وتتنوع النماذج، فليس هناك نموذج واحد لكل الشعوب.[6] وهنا يريد حسن حنفي أن يقول أنه لا إبداع دون التحرر من سيطرة الآخر لا يحدث إلا بدراسة معيقات وموانع الإبداع ذاته وفي هذا

1 - حسن حنفي مقدمة في علم الاستغراب –مصدر سابق ص 50 .
2 – المصدرنفسه، ص50
3 - المصدر نفسه ص 50.
4 - المصدر نفسه ص ص 50،51 .
5 – المصدر نفسه،ص 51

1 المصدر نفسه،ص51-

المنحى يقول" إن تحليل موانع الإبداع يسبق معرفة شروطه ومقوماته، فالسلب يسبق الإيجاب في العالم الثالث هو وضع الإيجاب قبل السلب، والبناء على أسس واهية، ومحاولة السير والقدمان مقيدان، فسرعان ما ينهار البناء أو يتوقف السير في المكان أو يتم بخطى وئيدة أو يقع السائر إذا ما حاول الإسراع، وأن تجارب الاستقلال والنهضة لدى شعوب العالم الثالث ليثبت ذلك بعد أن تحول الاستقلال إلى تبعية والنهضة إلى تأخر"[1].

6- القضاء على عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوربية بالنسبة للغرب، وقيام بإبداعها الخلاف بدلا من أن تكون مستهلكة للثقافة والعلم والفن، بل وتصير قادرة على التفوق على غيرها، وقد يتحول مركب النقص إلى مركب عظمة يساعد على الخلق والإبداع[2]، فهو " يعني وجود نصوص فلسفية لا تعتد لا على الوافد ولا على الموروث إذ يستقل العقل بذاته ويضع نصا قائما ندائه اعتمادا على العقل الصريح وبنية الموضوع"[3].

7- إعادة كتابة التاريخ بما يحقق أكبر قدر ممكن من المساواة في حق الشعوب بدلا من النهب الأوربي لثقافات العالم واكتشاف دور الحضارات التي ساهمت في تكوين حضارة الغرب والتي حاك الغرب حولها مؤامرة الصمت، ودون أن يكون الغرب هذه المرة وبموضوعية تاريخية، مركز الثقل في العالم ، فيه تصب كل الحضارات التي ساهمت في تكوين حضارة الغرب هذه المرة، وبموضوعية تاريخية مركز الثقل في العالم، فيه تصب كل الحضارات.[4]

8- بداية فلسفة جديدة للتاريخ تبدأ من ريح الشرق واكتشاف الدوائر الحضارية وقانون تطورها أشمل وأعم من البيئة الأوربية، وإعادة النظر في وضع الشعوب الشرقية كبدايات للتاريخ كما هو الحال عند هردر كانط وهبجل وكما بدأت الحضارات من الشرق ثم انتقلت إلى الغرب وتعود إلى الشرق من جديد. قد ينتج عن هذا العلم الجديد تحول حذري في قطر العالم فيكون على مشارف الانتقال من مرحلة قديمة إلى مرحلة جديدة.[5]

فبدون فلسفة تاريخ جديدة تعجز الأمة عن وعي حاضرها والتطلع إلى مستقبلها في نطاق ماضيها الثري بالانجازات والانعكاسات على امتداد المراحل التاريخية المتعاقبة لهذه

2- حسن حنفي، هموم الفكر الوطني، الجزء الثاني، دار قباء للطباعة، شركة مساهمة مصرية، الطبعة الثالثة، 1998، ص 179

3- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب-مصدر سابق ص 52

[3] - حسن حنفي، من النقل إلى الابداع. المجلد الثاني- الجزء الثالث- دار قباء القاهرة، مصر، سنة 2001-ص 289.

[4] - حسن حنفي- مقدمة في علم الاستغراب- مصدر سابق ص52.

[5] - المصدر نفسه ص 53.

الأمة[1] فالماضي ليس أنشودة يغنيها الحاضر بل مسار تاريخي في وعي الجماعة، في الخطابة يتحول التاريخ إلى أدب والشخصيات إلى أبطال، والحوادث نماذج والعلم إلى أخلاق إنما التحدي هو إيجاد طريق ثالث بين هذين النقيضين يقوم على فلسفة في التاريخ تربط بين دراسة التاريخ والوعي بالتاريخ فعلى أساس الوعي بالتاريخ تتم دراسة التاريخ.[2]

9- انتهاء" الاستشراق" وتحول حضارات الشرق من موضوع إلى ذات ومن أحجار إلى شعوب، وتصحيح الأحكام التي ألقاها الوعي الأوربي وهو في عنوان يقظته على حضارات الشرق وهي في عمق نومها وخمولها.[3]

10- إفشاء علم الاستغراب كعلم دقيق بعد أن ظهرت إرهاصته لدى جيلنا ودون أن تتحول إلى علم وتحويل الحضارة الأوربية أيضا من دراسة موضوع إلى موضوع دراسة والكشف عن مصدر هذه الحضارة مصدرا وبيئة، بداية ونهاية، نشأة وتطورا بنية وتكوينا كما فعلت مع غيرها عندما حولتها إلى مواضيع للدراسة فلم تسلم من التحيز والمحاباة، وقد يكون علم الاستغراب أسعد حظا في الموضوعية و الحياد معطيا معاني جديدة لهما بعد أن يقضي عليها كوهم و أسطورة ويكشف عنها كتحايل وخداع. لقد آن الأوان لجيلنا أن يرى الحضارة الغربية عن بعد دون الالتصاق بها حتى يكمن رؤيتها في شمولها دون الابتعاد عنها فتخفى عن الأنظار أو التوحد بها فيختفي الناظر[4].

11- تكوين الباحتين الوطنيين الذين يدرسون حضارتهم الخاصة من منطق وطني ،وحضارة الغير بطريقة أكثر حيادا وإنصافا مما فعل الغرب مع غير فتنشأ بالتالي العلوم الوطنية وتتكون الثقافة الوطنية ويتأسس التاريخ الوطني، وينتهي الفصام في الثقافة والسياسة بين العلم والوطن، بين الباقي والمواطن.[5]

[1] - د جيلالي بوبكر-التراث والتجديد-بين قيم الماضي ورهانات الحاضر-قراءة في فلسفة حسن حنفي في مشروعه الحضاري- مرجع سابق ص 30.

3 – حسن حنفي، هموم الفكر و الوطن، الجزء الأول، مصدر سابق، ص 384

[3] - حسن حنفي- مقدمة في علم الاستغراب- مصدر سابق ص 53-54 .

[4] - المصدر نفسه ص 54-55 .

1-hasan hanafi –l'éxégése de la phénoménologie.l'étet actuel de la méthode phénoménologique et son application au phénoméne réligieux.(thése de doctorat .dactylographrée/1965)pp3 ,2 ,

12- بداية جيل جديد من المفكرين بعد جيل الرواد الأوائل في عصر النهضة يمكن أن نسميهم فلاسفة بدلا من هذا الصحب الدائر والضجيج المسموع حول سؤال: "**هل لدينا فلاسفة؟**". فكل تعامل مع الغرب بهذا المعنى هو فلسفة. وكل من يأخذ موقفنا من الآخر هو فيلسوف.[1]

وفي هذا المجال يرى حسن حنفي أن الفلسفة ليست مجرد فكر بلا زمان ولا مكان بلا مجتمع وبلا حضارة إنما هي نظام فكري ينشأ في عصر، ويقوم به جيل، و يخدم مجتمعا ويعبر عن حضارة.[2]

13-علم الاستغراب قادر أن يقوم بالتحرر من أساسة الأنطولوجي وليس المعرفي وذلك بتحرر الآن من سيطرة الآخر، وهو التحرر الحضاري حتى تبدأ الأنا في وضع ذاتها كأنا" **أنا لا أغترب إذن أنا موجود**" **أو أنا لست آخر ، إذن أنا موجود**".[3]

14- وما ينتج عن علم الاستغراب أخيرا هو اختفاء داء العنصرية الدفين الذي نشأ إبان تكوين الوعي الأوربي حتى أصبح جزءا من بنيته، وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض بعد أن عانت الإنسانية من جراء الحربين أوروبيتين في المركز والمحيط على السواء بينهما عشرون عاما وقد ورثت الصهيونية هذا الداء الدفين ومازالت تمارس أساليب الاستعمار القديم والنازية الحديثة.[4]

ب)- مــواقف نـقديـة:

لقد أثارت كتابات حسن حنفي نقاشا محتدما بين مؤيدين ومعارضين من العرب وهذا ليس في مجال الفلسفة فقط بل شمل ذلك أيضا فكرة السياسي والديني والاجتماعي والغريب أن ذلك النقد والجدل والهجوم كان من قبل اتجاهات مختلفة إسلامية وماركسية وتفكيكية وتحليلية نفسية وغيرها.

2- حسن حنفي-مقدمة في علم الاستغراب- مصدر سابق ص 55.
[2] - حسن حنفي وآخرون- الفلسفة في الوطن العربي- مصدر سابق ص 13.
[3] - حسن حنفي- مقدمة في علم الاستغراب- مصدر سابق ص 56 .
[4] - المصدر نفسه ص 56 .

ونجدها قدمت في شكل كتب مستقلة أو مقالات في دوريات أو فصول في كتل مثل: من وجهة نظره دينية نذكر: محسن الميلي في كتابه (ظاهرة اليسار الاسلامي، **قراءة** تحليلية نقدية) ومن نظر ماركسيه نذكر ناهض حتر في كتابه: (التراث والغرب والثورة في فكر حسن حنفي) ومحمود إسماعيل في (القراءة الإيديولوجية للتراث العربي ،أدب ونقد) وكذلك نجد وجهة نظر التفكيكية التي قدمها علي حرب في كتابه(نقد النص) بعنوان (حسن حنفي مشروع فكري مثلث الجبهات) وقد أسهم بعض الكتاب في تقديم دراسات من منظور التحليل النفسي كما فعل جورج طرا بشي في كتابه (المثقفون العرب والتراث) وقراءات كل من د. صلاح قصوه لعلم الاستغراب ود. نصر حامد أبو زيد التراث بين التأويل والتلوين: قراءة في مشروع السيار الإسلامي والدكتور فؤاد زكريا في دراسته المتعددة خاصة" مستقبل الأصولية في ضوء أفكار الدكتور حسن حنفي[1]

بالإضافة إلى هذه النماذج المختلفة هناك عدد من كتابات أخرى وبعض الدراسة الأكاديمية العربية والأوربية التي خصصت لدراسة فكر "حسن حنفي" ومشروع النهضوي ، كما تجرمت أعماله إلى العديد من اللغات منها الاندونيسية والتركية والبيانية والألمانية وغيرها.وما نحن بصدد الآن هو بسط لإحدى انتقاداته فيما يخص مشروعه الحضاري" **مقدمة في علم الاستغراب**" الذي تعددت قراءاته وتباينه الآراء حوله ونستوقف على ذكر نموذجين من المفكرين المعاصرين له وهما "محمد عابد الجابري" و"علي حرب".

من وجهة نظر عامة نجد أن كلا من "حسن حنفي "والجابري"• قد انشغلا بهموم الوطن العربي، واجتهدا في تشخيص أعراضه وساهم في تقاربهما نبل الهدف وأساس الرؤية التي ينطلقان منها وكلاهما ممن عني بدراسة التراث العربي الإسلامي دراسة مستفيضة إلى جانب تحليله ونقده، وأطل في الوقت نفسه على الفكر الغربي المعاصر والحديث ومناهجه كما أن كلا منهما أقدم على تأسيس مشروع تراثي جاعلا من مشروعه محاولة لتشخيص الماضي وفهمه في ضوء قراءة جديدة، وفي الوقت نفسه عمل على توظيف هذا التراث توظيفا جيدا يمكن الأمة العربية من الدخول في التحديات الأساسية للعصر.[2]

[1] - أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997ص 334

1- علي رحومة سحنون- إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر (دراسة تحليل مقارنة) مرجع سابق ص239.

وهذا يعني أن كل من حسن حنفي ومحمد عابد الجابري• يتفقان على ضرورة التحرر من الغرب وذلك بالتعامل معه نقديا وهذا معناه حضور الوعي الفلسفي والتاريخي لتقوية الذات والثقافة فالجابري يرى أننا في حاجة إلى الانفتاح على الآخر وليس تقليدا له وذلك بالحفاظ على هويتنا القومية من الانحلال والتلاشي ،وهذا ما يظهر من خلال قوله: " ينبغي إعادة كتابة تاريخنا الثقافي بصورة عقلانية وبروح نقدية..... والتعامل العقلاني النقدي مع تراثنا بتوقف على مدى ما نوظفه بنجاح من المفاهيم والمناهج العلمية المعاصرة"، أما حسن حنفي فيرى أن الممارسة النقدية ضرورية في جميع مجالات حقول المعرفة، وقد مارس المفكر النقد في فلسفته بشكل عام فانتقد الفكر العربي المعاصر والتراث القديم والتراث الغربي فالنقد لا يتوقف وإلا وقع الفكر في القطيعة و وحد بين الجوهر وأحد أعراضه، بين المضمون وأحد أشكاله، بين الجذع وأحد أوراقه ولكن النقد يجلي الصدأ و يزيل الغبار ولا يقضي على ما يعلوه الصدأ أو ما يتراكم عليه الغبار. النقد عملية تجديد مستمرة من أجل مواكبة الزمن ومظاهر التغير.[1]

وبناءا على هذا فإن كل من "الجابري" و"حسن حنفي" يهدفان إلى تخليص الإنسان العربي من التقليد والتبعية للآخر الغربي. ولذلك نجد حنفي قد سبق الجابري في نقده للعقل الغربي وتحليله من خلال كتابه" مقدمة في علم الاستغراب" إلا أن "الجابري" وجب اطلاعنا وحتى الآن لم يفرد كتابه مستقلة كما فعل "حنفي" ولكنه يرى إنه إذا كان نقد الذات خطورة ضرورية لنقد الآخر فإبراز اكتمال بناء الذات يتطلب الانطلاق من التعرف على الآخر كما هو في حقيقته بإماطة اللثام عنه وفحص ادعاءاته الدفينة ودوافعه المحركة[2].

إلا أننا نلاحظ أن هذا التوافق بين هذين المفكرين لم يدم في بعض المواقف فإننا نجد "حنفي" يختلف مع "الجابري" حول مفهوم العقل العربي وتكوين العقل العربي على الرغم من

• محمد عابد الجابري: مفكر مغربي من مواليد 1936بالمغرب، حصل على الليسانس في الفلسفة سنة 1974 وعلى دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة1967 وعلى دكتوراه دولة سنة 1970، اهتم بقضايا الفكر العربي والثقافة العربية وله أيضا اطلاع موسوعي بالتراث العربي الاسلامي والتراث الغربي، يحمل عددا من اللغات الأجنبية منها الفرنسية والانجليزية و يحتل موقعا متميزا في الساحة الثقافية والفكرية العربية بوصفه مجددا ومفكرا ومتحمسا وناقدا و يعد من فرسان النقد على الساحة العربية المعصرة، له مشروعه الفكري الكبير(نقد العقل العربي، بنية العقل العربي ،العقل السياسي العربي) وله العديد من الكتب والمؤلفات والدراسات المحققة.

[1] - حسن حنفي وآخرون-فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي-أعمال الندوة الفلسفية الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية ،بجامعة القاهرة-مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت الطبعة 1 أيار/ مايو2005،ص ص،20،21

[2] - علي رحومة سحبون، اشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر،بين محمد عابد- وحسن حنفي (نموذجا)- مرجع سابق ص 258.

استعماله لهذه المفاهيم في بعض مؤلفاته حيث يذهب "حنفي" إلى أن مفهوم العقل العربي مفهوم غريب عن التراث، فالعقل لا قومية له، هناك العقل الخاص الذي يوجد في كل إنسان الفاعل أو المنفعل، بالقوة أو بالفعل، بالملكة أو المستفاد وهو أحد قوى النفس ولا يدل على حضارة أن تراث ينشأ في أمة إسلامية، العرب أحد شعوبها ويتحدثون اللسان العربي. أما مرجعية هذا المفهوم حسب تصور "حسن حنفي "قد نشأت في الغرب، أبان المد القومي في القرن التاسع عشر، وصاروا يتحدثون عن العقل الألماني والعقل الفرنسي والعقل الإيطالي، ومن البيئة نفسها خرج العقل العربي لتروج له الأوساط القومية والعنصرية في الغرب.[1]

أما الجابري فهو يرى أن "العقل هو أداة للإنتاج النظري أو منظومة من القول النشاط الذهني مستخلصة من ثقافة خاصة، وتتكون هذه الأداة أو المنظومة أو القول لا شعوريا خلال الممارسة الثقافية لتشكل في النهاية النظام المعرفي لثقافة ما"[2] .وهكذا ذهب الجابري إلى اتخاذ عصر التدوين في القرن الرابع هجري نقطة الانطلاق في تكوين العقل العربي الإسلامي ومنه فإن" العقل هو جملة القواعد المستخلصة من موضوع ما أي الموضوع الذي يتعامل الإنسان معه"[3].

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول كل من "حسن حنفي" و"محمد عابد الجابري" يرفضان التعصب ضد الحضارة الغربية و" إذا مال الجابري إلى المزيد من الإفادة من علوم الغرب، فإن ميل حسن حنفي يتجه إلى الحفاظ على الهوية ،و عندنا أنه يمكن الجمع بين الحسنين وأنموذج اليبان تأكيد لهذا الحكم."[4]

يعلن علي حرب• عن منهجه التفكيكي في قراءة النصوص، وتفكيكيا يتعامل مع حسن حنفي الذي يعده واحد من الذين يتصدرون الآن الواجهة على الساحة الفكرية في الوطن العربي

2 – المرجع نفسه،ص161

3 – محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، تكوينالعقل العربي، بيرت، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، الطبعة الرابعة سنة 1991،ص .13

4 – المرجع نفسه ،ص24

1 – محمود اسماعيل، في نقد حوار المشرق والمغرب بين حنفي والجابري، رؤية للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى سنة 2005،ص 51

•علي حرب: كاتب و مفكر علماني لبناني، له العديد من المؤلفات منها كتاب (نقد النص)و (هكذا أقرأما بعد التفكيك) ويعرف عنه أسلوبه الكتابي الرشيق وحلاوة العبارة، كما أنه شديد التأثر بجاك دريدا وخاصة مذهبه في التفكيك وهو يقف موقفا معاديا من المنطق الصوري القائم في الكليات العقلية التي يعتبرها علي حرب موجودات في الخارج وليست أدوات وآليات فكرية مجردة للنظر والفك، فهو يتبع منهج كانط في نقد العقل وآليات وبنيته الفكرية.

من أصحاب مشاريع التجديد والتحديث، فهو يتناول التراث تناولا نقديا لا يعيد من خلاله النظر في المفاهيم والمذاهب وحسب بل أيضا في الأصول ذاتها[1].

لقد خصص علي حرب في كتاباته عدة مقالات انتقد فيها حسن حنفي لكنه خصص القسم الأطول يناقش فيها عمله " مقدمة في علم الاستغراب" تحت عنوان "استغراب أم كهانة" أو "وهم التأسيس"، "وهم الأنا" ، "التنسيج الحضاري" وغيرها، لكنه يؤكد حرب علي "قوة النص" عن حنفي: "فأنت قد تخالفه وتنقده، ولكن لا يمكنك إلا أن تعترف وأنت تقرأه بأنك أمام قدير ومفكر كبير وكاتب لامع، إنه يفرض عليك نفسه ويقول أدائه ونصه[2].

ومن جانب آخر تحت عنوان "تهميش النظراء" يعترف علي حرب بأن "حسن حنفي مفكر بارز بات غني عن التعريف، وأنا أعدّه من الذين يتصدرون الآن الواحد على الساحة الفكرية في العالم العربي.[3]

ثم نجده يصفه بالاستعلائي نظرا لاستبعاد ذكر أسماء المشاريع الفكريةّ نظرائه من المفكرين العرب الذين يدعوهم إخوانه وأصدقائه في صفحات كتبه فيكتفي بذكرها فقط في الهامش ويضرب "حرب" أمثلة عن ذلك فيقول "وهذا ما يفعله أيضا مع المفكر التونسي هشان جعيد، فهو يقيم مشروعه في المتن وعى مساحة صفحة كاملة ولكنه لا يذكر اسمه إلى في الهامش وهذا شأنه مع أدونيس، يستعده إلى الهامش مع أنه يعتبر مشروع " **الثابت والمتحول**" **أقرب المشاريع إلى تراث التجديد**".[4]

ومن هنا لا يملك "علي حرب "حسب منهجه إلا أن يبدأ بالهامش فهو لا يهتم– كما يذكر لنا– بما يصح به حنفي بل بما يستبعده ولا يقوله، منقبا عن خروم نصه وهوامش كلامه منسجما بذلك مع المنحى الذي ينحوه في تناول النصوص وهو مذهب أهل التفكيك.[5]

يتكلم "علي حرب" عن عمل "حسن حنفي"– مقدمة في على الاستغراب – فيقول "والاستغراب كما يريده ويحاول تأسيسه حسن حنفي هو علم غرضه تحويل الغرب إلى موضوع للدرس بعد أن كان ذاتا دراسته أي قلب الموازين وتبديل المواقع .... المهم أن هذا العلم يعني عنده كل ما

2 - أحمد عبد الحليم عطية- جدل الأنا والآخر- مرجع سابق ص341
3 – المرجع نفسه، ص341
4 – علي حرب، الحقيقة والنص، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1993ص 33

1 – المرجع نفسه ،ص 33
2 - أحمد عبد الحليم عطية- جدل الأنا والآخر- مرجع سابق، ص 341

هو ليس بغربي والأخرى بالقول أنه يعني أنه كل ما يقع من الغرب موقع الغير أو المختلف أو المقابل والضد أو النقيض والرد أو الخصم والعدو"[1].

وهو بذلك يرى أن "حسن حنفي" لم يستند على تعريف واحد وواضح لعلم الاستغراب وانما أعطى له عدة تعريفات مختلفة وتحت عنوان آخر"**هاجس الكتابة**" ويقول "من هنا أبدأ بل بدأت فعلا نقدي من النهاية لا من البداية، من الفصل الأخير وبالتحديد من الخاتمة التي يتحدث فيها حسن حنفي عن " النقد الذاتي وحدود العمر" ففي هذه الخاتمة يعترف حنفي بأوجه القصور التي تنطوي عليها مقدمته في علم الاستغراب ومن هذه الأوجه أنه اكتفى بالكليات دون الجزئيات، وقدم تصنيف للفلاسفة أكثر مما قدم دراسة لتكوين العقل الأوروبي، وعرض المذاهب دون تبيان أثرها في الفكر العربي المعاصر وجمع في البيان النظري التطبيق والنظرية، وكلها عيوب لم يكن بإمكانه تلافيها لأنه كان يكتب تحت وطأة هم قصر العمر الذي هو العيب الأكبر على حد ما يعترف.[2]

يعيب علي حرب على فكر "حسن حنفي" فيما يخص هم قصر العمر الذي اعتبره "علي حرب" هاجسا، وهو يذكر أنه كرر ذلك عشرات المرات في فقرة واحدة لا تتجاوز ثلاثة صفحات كما أنه –حسن حنفي– بالغ في أخطائه اللغوية أو المطبعية فورد منه كتابة النهضة بدون هاء (النضة) أو (إحدى تطبيقاتها) بدلا من (أحد تطبيقاتها) وهذا يفسر في نظر حرب علي المستوى الانطولوجي وليس على المستوى النفسي.

يصف أيضا "علي حرب" الدكتور "حسن حنفي "بالنرجسية التي "تتجلى في كون المثقف أو الكاتب القائم بأمر الدعوة يصدر في تعامله مع ذاته: إحساسه بمركزيته ومحوريته، برسوليته ونخبويته بتفوقه واصطفائه"[3]. و النرجسية الثقافية إذن – في نظر علي حرب – هي السلطة التي يمارسها المثقف وهي ليست مادية أو إقتصادية وإنما سلطة الكلام و الكتابة "تمارس على النفوس والعقول ،بواسطة المنتوجات الرمزية المتمثلة في الأفكار والمعارف ،أو في العقائد و الطقوس ،أو في الشهادات و الألقاب .....و السلطة الرمزية تمارس على هذا النحو منذ زمن العراف القديم إلى زمن المثقف الحديث ، مرورا بالكهنة و القساوسة ،فضلا عن الفقهاء الذين

3 - علي حرب، الحقيقة والنص، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1993ص 31
4 - علي حرب، الحقيقة والنص، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1993ص36

1 – المرجع نفسه، ص 40

برزوا مجددا على المسرح ،بعد أن همش دورهم لصالح المثقف الحديث ذي الجذر الليبرالي أو القومي أو الماركسي" [1]، وهكذا يكون الصراع بين المثقف و السياسي على المشروعية ومعنى ذلك، أن كل واحد تقوم مهنته على احتكار الحق لنفسه حتى تعود عليه بمنافع مادية ومعنوية و عليه يمكن القول أن المثقف يقود البلاد و الجماهير بنرجسيته نحو الخراب والهلاك و الدمار بثوابته المطلقة "من هنا فمشكلة المثقفة هي في عجزه عن فهم العالم ،و فشله في التعاطي مع الوقائع أي في أنماط الرؤية القاصرة أوفي نماذج العمل العقيمة، باختصار مشكلة المثقف هي بالدرجة الأولى ،في أفكاره ، فليس له، والحالة هذه ،سوى العمل على فض الاشتباك بينه وبين المقولات التي تعيش عليها ، أوعليه على الأقل التخلي عن لغته المتحجرة في قراءة الأحداث و التعاطي مع العالم" [2]

وعلى هذا النحو يرى" علي حرب" أن "حنفي" يستعمل الكتابة كأداة لممارسة حريته والاهتمام بذاته، يحمل هموم وطنه وشعبه وهو بذلك يمثل النخبة و الأمة جميعا وهذا الذي أدى به إلى دراسة علوم الغرب و صياغتها ،فالآخر هو الثعبان بالنسبة لحسن حنفي، و الغرب هم أعداؤه ينبغي السيطرة عليهم "مقدما بذلك الشاهد على الخطاب مخادع يقود صاحبه إلى حيث لا يريده لقد صرح حنفي في مقدمة كتابه بأنه سيكتب علم الاستغراب بروح حيادية موضوعية و بأنه لن يريد أن يكون كنقيضه الاستشراق مشروعا للسيطرة على الآخر، و لكن ها هو يتحدث في خاتمة الكتاب عن الفلاسفة بعقلية سجان يدير معسكرا للاعتقال ،أي بعقلية سلطوية فاشية، إنها إرادة السيطرة بل الانتقام تفصح صاحبها من حيث لا يشاء"[3]، ويواصل "علي حرب" نقده اللاذع مختزلا مشروع "علم الاستغراب" في ضحكة فلسفية من قبل فوكو هذا لو كان حيا و قرأ كلامه و أن خطابه يحمل بداهات و أوهام مغلقة تتمثل في الوهم الفلسفي ووهم الاستغراب و وهم التأسيس و وهم الأنا و وهم التحرر لكن في الأخير يقول: "لا أريد أن أنفي الإنجاز الذي حققه حسن حنفي في هذه "المقدمة في علم الاستغراب" أ وهي تقع في ثمانية فصول .لقد ركزت نقدي على الفصلين الأول والأخير، أي على مقدمة المقدمة و الخاتمة و فيها يتحدث حنفي عن معنى علم الاستغراب وعن جدل الأنا و الآخر، أما الفصول الستة الباقية والتي هي عبارة عن

2 – علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة سنة2004 الدار البيضاء، بيروت، ص 57

3 – المرجع نفسه، ص60

1 - علي حرب، الحقيقة والنص، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1993،ص ص،41،42

استعراض للفلسفة الأوروبية ،فلم تكن عندي موضع نقد وفحص ،بل إني إذ أقرأ في هذه الفصول أحد كل الفائدة و المتعة، و لا شك أن ما كتبه حسن حنفي في هذا المجال هو قراءة عربية لفلاسفة الغرب لا سابق لها من قبل. وانه لما يستحق الثناء و التقدير أن يكتب عربي عن الفكر الغربي نصا بهذه القوة وبهذه الثقة"[1]. وما نعقبه على "علي حرب" أنه يستعمل النقد من الوجهتين الإيجابية والسلبية وهذا الذي أدخله في تناقض ميتافزيقي، صحيح أن النقد لا يتوقف وهوما يجعل الفكر في صيرورة دائمة لكن لا يمكن أن ننقد الموضوع نفسه بالإيجاب والسلب في آن واحد.

2 – المرجع نفسه، ص 55

قائمة المصاد رباللغة العربية

1 – حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1983

2 – حسن حنفي، من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر،ط1، سنة 2004

3 – حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، ط5،سنة 2002

4 – حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، سنة 2000

5 – حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب؟، دار العادي للطباعة و النشر،ط1، سنة2000

6 – حسن حنفي، اليسار الاسلامي والوحدة الوطنية، القاهرة، مكتبة مدبولي،ط1، سنة1988

7 – حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة،ط1،1988

8 _ حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، الفكر العربي المعاصر، ج2، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع،ط3، سنة1998

9 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، التراث والعصر و الحداثة،ج1،دار قباء للطباعة والنشر،ط2،سنة 1998

حسن حنفي، حصار الزمن، مفكرون، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط1 سنة2004

10– حسن حنفي، من النقل الى الابداع، المجلد الثالث،ج3،الحكمة العملية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،2002

11– حسن حنفي، من النقل الى الابداع، المجلد الثاني،ج3،دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،2001

12 – حسن حنفي، الدين والتحرر الثقافي، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة 1988

13– حسن حنفي، دراسات فلسفية، الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة1998

14- حسن حنفي، حصار الزمن الحاضر، إشكالات، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى:2004

15- حسن حنفي، حصار الزمن، اشكالات الحاضر، الدار العربية للعلوم،ط1، سنة2007،بيروت ،لبنان.

16- حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط1سنة 1985،ط2 سنة 1987

17- حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، أعمال الندوة الخامسة عشرة التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط1،ماي2005.

18-حسن حنفي، الجابري، حوار المشرق والمغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط1، سنة1990

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

-hasan hanafi l’éxégése de la phénoménologie.l’état actuel de la methode phénoménologique et son aplication au phénoméne réligieux.(thése de doctorat .dactylographrée/1965)pp3.2

قائمة المراجع:

1- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي الصغير،القاهرة،ط1، 1997

2- أحمد عمر الوهاب، التغريب طوفان من الغرب، مكتبة التراث السلامي، بدون طبعة

3- أنطوان خوري، مدخل الى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط1، سنة1984

4 - أنوار الجندي، شبهات التغريب في الغزو الفكري الاسلامي، المكتب الاسلامي، د، ت، بدون طبعة

5 - ادوارد السعيد، الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العبرية، لبنان، ط1981،1

6 - بركات هاني، الاستشراق و التربية، دار الفكر الطباعة والنشر، عمان ط1،سنة 1424،2003

7- برهان غليون اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط4، سنة 2006

8-جيلالي بوبكر، التراث والتجديد بين قيم الماضي ورهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضاري، إربد عالم الكتب الحديث،ط1 ،سنة1432،2011

9 - زكريا ابراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، بدون طبعة وبدون تاريخ

10- صالح جواد الكاظم وآخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقاشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، ط1

11-عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهيرمينوطيقي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، سنة 2012

12- عبد الرزاق قسوم ،مدارس الفكر العربي الاسلامي المعاصر، تأملات في المنطق، عالم الكتب للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1سنة 1997

13-علي حرب، الحقيقة والنص، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،سنة1993

14-علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3،سنة2004

15-علي حسين الجابري، الانسان المعاصربين غروب الحضارة واغترابه، دراسة في جدلية الخوف، دار مدلاوي للنشروالتوزيع،ط1سنة 1426،2005م.

16-عبد الرزاق قسوم ،مدارس الفكر العربي الاسلامي المعاصر، تأملات في المنطق، عالم الكتب للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1سنة 1997

17-علي رحومة سحبون، إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة تحليلية مقارنة، بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجا، شركة الجلال للطباعة،الاسكندرية،ط1، سنة 2007

18 -صالح جواد الكاظم وآخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقاشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، ط1،سنة 1998

19- محمد أحمد خلف الله، علاقة الهوية و التراث بالاسلام، ضمن بحوث و مناقشات ندوة تكنلوجيا تنمية القاهرة، العربية للدراسات والنشر،ط1، سنة 1985

20- محمد شوقي الزين، الازاحة والاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 سنة 2008

21_ محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر،ط4 سنة1991

22- محمود اسماعيل، في نقد حوار المشرق والمغرب بين حنفي والجابري، رؤية للنشر والتوزيع، ط1،سنة 2005

23 - مصطفى كيحل، الأنسنة و التأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،سنة 2011

24- مازن بن صالح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي مؤسسة عالم الأفكارللنشروالتوزيع،ط1،سنة2011

25- نخبة من الأساتذة، حروف الحكمة العلمية، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر،ط1،سنة2005

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المعاجم والموسوعات:

1- ابراهيم مدكور، معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطبعة المصرية،ط1، سنة 1983،1403

2- ابن منظور، لسان العرب، دار اللسان العرب، بيروت، م 10

3- جلال الدين سعيد ،معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ط 2004

4- يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلميق، بيروت، لبنان، بدون طبعة

5- بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ببيروت، ط1 سنة 1984.

قائمة المجلات:

1 – حسن حنفي، المشروع الحضاري الجديد ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، المجلس القومي للثقافة العربية، العدد105،مارس1994

2– علي فهمي خشيم، المستقبل ينبثق من الماضي، ورقة مقدمة ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105، مارس 1994، تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط

3– قيس خزعل، الدين والتراث و التراث في فكر حسن حنفي، مجلة الوحدة، تصدر عن الفكر القومي للثقافة العربية، العدد06، مارس1985

4– محمد أحمد اسماعيل علي، المثقف العربي وفعاليته الاجتماعية، مجلة الوحدة، العدد29

5– محمد الوقيدي، عبد الصمد بلكبير و محمد بنيس، من بيروت الى النهضة ،أسئلة واختبار، حوار مع ن حنفي ،مجلة الثقافة الجديدة المغربية، العدد 29، سنة 1983

الأنترنيت:

ـالموقع الاكتروني:Hp///p.share lire.net/ ?/pi/ar.wikipedia.or

المبحث الأول: حياته وأعماله

يعد الدكتور حسن حنفي من أبرز المشتغلين في الفكر العربي والفلسفة المعاصرة، كما يتميز بألمعية وتفرد في معاينة الظواهر قلّ نظيرهما.

ولد حنفي في القاهرة عام **1935**، وفيها تعلّم ونشأ وحصل على البكالوريوس عام **1956** ثم سافر الى فرنسا، فنال درجة الدكتوراه من جامعة السربون عام **1966** وذلك برسالتين قام بترجمتها إلى العربية، ونشرهما عام **2006** تحت عنوان "**تأويل الظاهرات**" و"**ظاهريات التأويل**"، وقضى في إعدادهما في السربون عشر سنوات وعند عودته عمل بقسم الفلسفة في القاهرة، حتى وصل إلى درجة أستاذ متفرغ، وعلاوة على إتقانه أصول اللّغة العربية فإنه يجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهو ما مكنّه من العمل كأستاذ زائر في عدد من الجامعات بالعالم، منها جامعة تميل (فيلا دلفيا) عام **1971** حتى **1975**[1]، و في هذه الفترة بدأ يكتب "من العقيدة الى الثورة" التي قدم لها في كتابه "التراث و التجديد" ،عاد الى مصر سنة **1975** و في سنة **1979** أسس مجلة اليسار الاسلامي، ثم غادر مصر منتقلا الى المغرب سنة **1982**.

قام بتأسيس الدراسات العليا في جامعة فاس بالمغرب، سنة **1983** غادر المغرب متجها الى اليبان ،اشتغل أستاذا محاضرا بجامعة الأمم المتحدة حتى سنة **1987**، كما اشتغل أستاذا زائرا بجامعة الامارات العربية ،و هو مفكر و مجدد اهتم كثيرا باعادة قراءة التراث الاسلامي ،فهو مفكر و داعية و متحمس لتجديد الفكر العربي وغربلة التراث ،مفكر مهموم لقضايا الواقع العربي ،يدعو الى نهضة عربية جديدة تجمع بين الوحدة للأمة و الحرية لانسانيتها و العدالة لشعوبها ، له مشروعه الفكري الكبرى "التراث و التجديد" بأجزائه الخمس[2].

و له العديد من الكتب المنشورة و الدراسات المحققة بالعربية و دراسات أخرى بلغات أجنبية نذكر منها : من النقل الى الابداع (**9** مجلدات)،موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ،مقدمة

---

1 – موقع الكتروني: Hp///p.share lire.net/ ?/pi/ar.wikipedia.or

2- علي رحمون سحبون ،إشكالية التراث ،والحداثة في الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذجا، دراسة تحليلية مقارنة ،شركة الجلال للطباعة- الاسكندرية،الطبعة الأولى:2007،ص 10.

في علم الاستغراب و فيشته فيلسوف المقاومة ،في فكرنا المعاصر، و من أهم تلاميذه في مصر:

- نصر حامد أبو زيد **(1943–2010)**.
- علي مبروك **(1960–؟)**.
- كريم صياد **(1191–؟)**. [1]

[1]- المرجع نفسه ص 11

المبحث الثاني: فكره و منهجه

أ)- فكره:

إن قيمة حسن حنفي الفلسفية ليست في فلسفة خاصة هو مؤسسها بل إن قيمته تكمن في الانعطاف الفكري المتميز من خلال كتاباته وأبحاثه ومواقفه المتميّزة بالوجاهة والجرأة على الرغم من الانتقادات التي تعرّض لها، بل زادته الانتقادات قوة ومناعة ويتجلى هذا في مقالاته وكتبه وحواراته وغيرها، التي عالجت مختلف القضايا في الفكر والثقافة والسياسة والحضارة.

إن التعرف على فكر حسن حنفي يكمن في تلمس نقاط الإبداع في منظومته المعرفية والوصول إلى آليات الإبداع عنده بما يخدم الفعل الفلسفي التأسيسي في الفكر العربي وليس مجرّد تكرار لمنتجات الفكر في أية حضارة ما ليس مجرّد عرض النظريات العلمية الخالصة وإنما الفكر الذي يعمل على تحريك الواقع بالنص: « **والتعبير عن الواقع بأسلوب مباشر يفهمه الواقع نفسه ويؤثر فيه وليس بأسلوب العلمية الخالصة فلا يمكن مخاطبة فلا يمكن مخاطبة الجماهير مثلا عن مشاكلها بمعادلاتها وصل إليها الباحث بالرياضة البحتة أو بنظرية المجموعات ... فالعلم دعوة وليس بحثا خالصا**»[1].

و هكذا يكون حسن حنفي قد استمد قوته المعرفية من خلال قدرته على استيعاب التراث العربي الإسلامي والموقف منه و الوافد**(التراث الغربي)** والموقف منه والواقع بكل أبعاده، فالموقف الأوّل جعل منه مفكرا إسلاميا مبدعا والموقف الثاني جعل منه مفكرا غربيا و الموقف الثالث جعل منه صاحب مشروع حقيقي في السياسة والاجتماع والأخلاق والحياة العامة، وهكذا يكون فكره مرتبط بثلاثية العقل والنقل والواقع وهي إستراتيجية تصنع التّطور والتّجدد لأنها مرتبطة بالعقل وتصنع التاريخ والحضارة لأنها مرتبطة بالنقل والواقع.

[1] - حسن حنفي، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، السنة 1983، ص ص 13-14.

" ويؤكد حسن حنفي أن رسالة الانسان في تحقيق المثل الأعلى لا تتحقق تمام التحقق الا في الحياة بل ان المثل الأعلى نفسه لا يتحقق تمام التحقق الا على الأرض و في الواقع"[1].

اذن رسالة المفكر و الفكر هي الكشف عن أسباب تخلف الواقع و معوقات تقدمه من أجل

تغييره و تطويره ،فالفكر أساسا هو رفض وتفجير للواقع، و بهذا يصنع الانسان التاريخ ويبني الواقع و يحركه ، ومن هنا كانت الانطلاقة الفكرية عند حسن حنفي مستمدة من واقع العالم العربي و ما يواجهه من أزمات حضارية ،محاولا بذلك معالجة مضمونه المضطرب من خلال فكره الذي يسعى الى الترابط بين العقل و النقل و الواقع لأن العقل هو الذي يعي ذاته و محيطه اما النقل فنقصد به ماضي الأمة و تراثها و تاريخها الذي يعبر عن هويتها ، و مرتبط بالواقع لأنه المعبر عن حياته بجميع مجالاتها و " **لأن معرفتنا بغايتنا الشخصية و مصيرنا البشري هي الكفيلة وحدها بأن تخلع معنى أو دلالة على معرفتنا بوسائلنا في الفعل من جهة ،و ادراكنا لدورنا الحيوي في السيطرة على الطبيعة من جهة أخرى** "[2]

ومن الأسباب التي أدت الى عدم النهوض برسالة الفكر الذي يعمل على تغيير الواقع و تطويره هو تعدد الآراء و كثرة الكتابة بدون فائدة و " **قد سئم الفكر العربي المعاصر المداخل الأديولوجية للواقع المعاصر. لا فرق بين ليبرالية و قومية و ماركسية في تنظير الواقع و التحديات مستمرة ،و تحرير الارض لم يتم ، وحرية المواطن لم تتحقق ، ووحدة الأمة مازالت بعيدة المنال ، و العدالة الاجتماعية طموح لم يتحقق ، و التنمية المستقلة مجرد أمل ،و الدفاع عن الهوية حلم ،وحشد الناس و تجنيد الجماهير معدوم و صمت الشارع العربي عما يحدث من مذابح في فلسطين مازال مطبقا**"[3]. و مهمة الفكر هنا هي معالجة و تشخيص الأزمات التي يواجهها الواقع و الحرص على الفعل لتغيير الوضع نحو الافضل و هنا يقول حسن حنفي :" **فمتى تتغير مفاهيم عصر النهضة الى مفاهيم الانتفاضة ، المقاومة و الشهادة و الرفض و التمرد و الاعتراض و الثورة ؟ مازالت فلسفتنا ونهضتنا بل و ايديولوجياتنا تقوم على النظر دون العمل، و على المعرفة قبل الفعل**"[4] .

2- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997،ص50.

[2] - زكريا إراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر ،بدون طبعة وبدون تاريخ ،ص 59.

[3] - حسن حنفي، من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة 2004، ص 279.

[4] - المصدر نفسه، ص 282.

وقد يكون وراء هذا العجز في تشخيص مشكلات المجتمع العربي عدة أسباب تعود الى عدم القدرة بالتنبؤ بتطوراتها وما تؤول اليه مستقبلا . و نقصد هنا تنبؤات المفكر العربي أو توقعاته هو أن يقرر ما سيقع أو ما يحتمل وقوعه في ضوء اتجاهات معينة في حياة المجتمع، قوميا كان أم دوليا ، و من المتفق عليه في علم الاجتماع أن عملية التنبؤ تنطوي

على ثلاثة عناصر هي الوقائع أو الاتجاهات التي يبنى عليها التنبؤ، و الظروف التي توجد فيها ،و تقدير احتمالات وقوع النتائج و مادياتها ،ويبدو أن أيا من هذه العناصر لا يحضى بتقييم موضوعي في التنبؤات العربية.....وقد عجز الفكر العربي – من خلال حامليه – عن التنبؤ الدقيق بسبب عدم تقديره عناصر التنبؤ الثلاثة حق قدرها و فيما يخص عنصر المعلومات ،وهي الخامات الازمة لصنع التنبؤات ،لا يسع المرء الا أن يلاحظ أن هذه كثيرا ما تكون ناقصة أو مشوهة ،و كثيرا ما تتخطاها وقائع مباغتة أو تقلبات مفاجئة لا يمكن إخضاعها لتنبؤ، وتمثل بذاتها حالة الإستقرار الدائمة في الحياة العربية ،وهي حالة غالبا ما يصعب التنبؤ في ظلها."[1] و على هذا المنوال يستطيع الفكر أن يحقق رسالته بالتغيير في الواقع نحو الأفضل و الأنجع " **فالفكر أساسا رفض وثورة ،و بالرفض يتغيير الوضع و الفكر الذي لايغير لا يكون فكرا بل يكون تبريرا و ما تم عمله لا يتحول الى فكر بل يصبح جزءا من الواقع و تطوره ،الفكر هو البادىء بالتغيير والعمل على تحقيقه** "[2].

ومن معوقات الفكر رسالته السلطة الذاتية أو الرقابة الداخلية التي يعتقد حسن حنفي أنها من أخطر و أصعب الظواهر في الكتابة الفكرية لعدم تعميرها عن الحقيقة المنشودة في الواقع فالفكر يستدعي الموضوعية في البحث و الدقة و الأمانة العلمية " فرسالة الفكر هي أن يكتب المفكر ما يعتقد، وأن يعبر عما يشعر به ،وأن يتخلى عما تعود عليه من الرقابة الداخلية التي قد يكون قد فرضها على نفسه دون أن يطلب أحد منه ذلك، توخيا للسلامة و إيثار للعافية و إن الرقيب الوحيد الممكن داخليا هو الضمير الذي هو حيات المفكر و شرفه"[3].

1- صالح جواد كاظم و آخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقشات لندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، الطبعة الاولى سنة1995، الطبعة الثانية سنة 1998،بيروت، ص137

2 - حسن حنفي، قضايا معاصرة، في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة1983، ص 18

3 - المصدر نفسه، ص23

كما أن الفكر ليس تابعا لسلطة خارجية كالسلطة الدينية و السياسية، فهو لا يستطيع– المفكر– أن يؤدي دوره الطبيعي المرتجى في المجتمع إلا إذا تمتع بالحرية و الإستقلالية أي التحرر من التبعية الداخلية و الخارجية وترينا تجارب الكثير من أنظمة العالم الثالث السياسية على أن أهم سبب في اخفاق هذه الأنظمة في انجاز تحرر حقيقي من التبعية الفكرية الخارجية كان عجزها عن توفير الظروف الازمة لإقامة استقلالية فكرية داخلها، أو

حيلولتها دون ذلك، و بذلك لم يوجد البديل العلمي من التبعية الفكرية الخارجية ،وطغى على السطح بديل هزيل زائف سرعان ما تبدد بسقوط تلك الأنظمة".[1]

و الفكر السياسي عند "حسن حنفي" لا يظهر في كتاب خاص أو مقال واحد أو محاورة واحدة بل أن مساهمته السياسية كانت مشتتة بين مؤلفاته و مشاريعه الحضارية و في مفهوم السياسية يقول:" **السياسة لفظ عام بمعنى أيضا الأخلاق الإجتماعية ،سياسة الأصحاب كي يقول الإخوان أو توجيه النصائح للملوك .فالقوانين السياسية هي المعايير الأخلاقية ،و الغاية منها نفعية ولا فرق بين الطبقات الاخلاقية و الطبقات الإجتماعية و الطبقات السياسية**"[2] .إن السياسة ترتبط بالأخلاق الإجتماعية و هذه العلاقة الثلاثية داخل التاريخ تعبر عن راهنية الحياة الإنسانية و عقلانيتها و هذا ما يعبر عنه بالحكمة العملية " التي هي أكثر الأمور ارتباطا بحياة الأفراد ،لما لها من علاقة مباشرة بحياتهم اليومية، و الحكمة العملية تنحل إلى قسمين عند أرسطو: الأخلاق و السياسة، أما في عصرنا فينظر إليها من خلال ثلاث مواطن: سياسة ،أخلاق ،عمل ومن خلال هذه التقاسيم حاول الأستاذ "حنفي" أن يبرهن للمتفلسف العربي أن طريقة تعامل السلف مع العلوم المدنية يجلي قيما فضلى للقارئ ،إنه تعامل الواقع مع قبل النص ،و الضروري قبل الكمالي ،و الحياتي قبل الأخروي"[3]،و لذلك ارتباط السياسة بالأخلاق يعني الإدارة و حسن التدبير فالسياسة أربعة أحكام السياسة مع النفس والسياسة مع و السياسة مع البدن و مع الآخرين و مع الله .اما من الناحية

1- صالح جواد كاظم و آخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بحوث ومناقشات لندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة المربية، الطبعة الاولى سنة1995، الطبعة الثانية سنة 1998،بيروت،ص137.

2- حسن حنفي ،من النقل إلى الابداع، المجلد الثالث،ج3، دار قباء، القاهرة، مصر، الطبعة سنة 2002،ص339.

3- مجموعة من الاساتذة ، حروف الحكمة العلمية، قراءات تقديم حسن حنفي،رياض العلوم، الجزائر، الطبعة الأولى سنة2005،ص21

الإجتماعية فتظهر الصلة مع التربية و التعليم و الدين لإنتاج تربية سياسية و" **تحليل السياسة في صلتها بالحكمة العملية و هي جزء منها لاستخراج الغايات القصوى من السياسة المدنية .و السياسة في تراثنا مقترنة أساسا بمراميها الكبرى و المتمثلة في تسوية الاعوجاج وإصلاح ما فسد في شبكة العلاقات الإجتماعية ،السماح لأهل الفكر و**

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

العلم من ممارسة التجديد ووضع خطط ،فتح مجال للعمل و الاجتهاد للأخيار والأطهار، حفظ الضروريات و حفظ العمل والحرية و الكرامة و السعادة للجميع."[1]

ولأجل التغيير و النهوض الفكري السياسي ، الأخلاقي ،و الإجتماعي لابد من وعي القديم ووعي الوافد لأن الأسلاف درسوا الآخر وتعرفوا ثقافته وفكره و تاريخه شرط التقدم الفكري و الفلسفي و هذا ما يسعى إليه " حسن حنفي" من خلال "**بناء القديم كله ليكون قادرا على مواجهة تحديات العصر و الانتقال من الإصلاح إلى النهضة و ذلك بالاعتماد على سلطة العقل و اجتهاد المحدثين ،فالتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطى من نظرية عملية في تفسير الواقع و العمل على تطويره ،و يمكن توظيف التراث ليكون نظرية للعمل و موجها للسلوك ،و ذخيرة قومية يمكن اكتشافها و استغلالها و استثمارها من أجل إعادة بناء الإنسانته و علاقته بالأرض و هما حجر العثرة اللتان تتحطم عليهما كل جهود البلاد النامية في التطور و التنمية ....فالنهضة سابقة على التنمية و شرط لها و القفز إلى التنمية هو تحقيق لمظاهر التقدم دون مضمونه و شرطه"**[2].

يولي "حسن حنفي" أهمية كبيرة للفكر الفلسفي بصفة عامة و الفلسفة العربية بصفة خاصة، بحيث أن مهمة الفلسفة تظهر من خلال الموقف الحضاري للمفكر و في هذا الصدد يقول: "**الفلسفة مشروع قومي حضاري و ليست مجرد مادة علمية مقررة لها كتاب محفوظ و استاذ ملقن و طالب يتذكر و شهادة تعطى، و وظيفة تؤخذ لحل قضية المعش وكسب الوقت وهي ليست مصطلحات مهنية و مذاهب مستغلقه يشعر الأستاذ أمامها بالزهو والطالب بالرهبة والقراء بالعظمة، الفلسفة نبع من موقف حضاري محدد تساهم في صنع نهضة وفي تحديد معالم مرحلة تاريخية يمر بها مجتمع ما، هي القدرة على التعرف**

1-جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص45.

2- الدين والتراث والثورة في فكر حسن حنفي، تقديم و حوار قيس خزعل جواد، مجلة الوحدة، تصدر عن الفكر القومي للثقافة العربية،عدد06-مارس 1985،ص125.

على اللحظة الحالية و قراءة روح العصر و الاحساس بالموقف الحضاري و إلا كانت لا زمان ولا مكان"[1]. فالفلسفة ترتبط بالواقع لمواجهة تحدياته و مشاكله و عند انفصاله عنه تغيب فلسفة التاريخ لأن " **الفلسفة الخالدة في عقل الفيلسوف و تحويل العالم إلى المثل الأعلى ،و المجتمع إلى مدينة فاضلة جعل الفكر خارج التاريخ ،من وضع الذهن حقيقة**

مطلقة خارج العالم خلو بلا زمان ،و التاريخ الإنساني لا ينشأ إلا في مكان و زمان مع البشر و التدافع في الأرض"[2] .

وبما أن التاريخ لا يخرج عن ثنائية الزمان و المكان ،فالفلسفة كذلك مرتبطة بالتاريخ وبصيرورته وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في دراسته لتاريخ العمران البشري في إطار فلسفة التاريخ و البحث التاريخي بالنسبة لحضارة البدو و المدن .و الوعي بتخلف الحضارة قد يكون سبب تقدمها وازدهارها،" **إن وعي واقعة الإنهيار هو شرط الدخول في دور جديد يدعي أبناؤه إلى تخطي الواقعة وإلى السير في طريق التقدم ونحو الأفضل**"[3]، وهذا ما يعمل "حسن حنفي" على تأكيده على أن حركة الشعوب تتأثر بفلسفة التاريخ و القدرة على فهم التراث وبنائه .

وبهذا يريد "حسن حنفي" من "الفلسفة العربية اليوم أو من أرباب الفلسفة فيها ،تحقيق الموازنة بين التراث و المعاصرة، و بين الفكر و الواقع ،ولا يتم هذا إلا بإستيعاب التراث القديم بأجمعه و الإلمام بالتراث الغربي لكي نعرف كيف مسخ الإغتراب هويتنا ،كما ندرك كيف يتوجب علينا أن نجعل من الواقع المعاش المصدر الوحيد للتنظير العقلي بتجاوز الأزمة الحضارية ،وللخروج من هذه الإشكالية الناشئة عن أزمة (التراث والمعاصرة)و (الفكر و الواقع) يقترح علينا حنفي حلا عمليا (عقلانيا) يقوم على الإنتقاء أو الإختيار الواعي فهو وسيلتنا للتجاوز هذه الأزمة و يقصد بالإنتقاء :"عملية عقلية متوازنة، تهدف إلى إعادة بناء الفكر العربي"[4] و على هذا النحو يقوم حسن حنفي بدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية و

3- حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة1985،الطبعة الثانية سنة 1987،ص ص 42،41.

1 - حسن حنفي ،من النقل إلى الابداع، المجلد الثالث،ج3، دار قباء، القاهرة، مصر، الطبعة سنة 2002،ص 367.

2- فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الاسلام، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الثانية سنة 1981،ص62

3 - أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997،ص259.

منتجاتها ،كما أنه درس الحضارات الشرقية و الغربية القديمة و الحديثة و المعاصرة، مستعملا منهجية النقد المزدوج للأنا وللآخر ضمن رؤية فلسفية جديدة للتاريخ العربي و الإسلامي فالفيلسوف هو الذي يربط موقفه بالتراث القديم و التراث الغربي و الواقع. وهنا يقول حنفي:" **الفيلسوف هو صاحب الموقف الحضاري الذي يأخذ موقفا من التراث القديم و يأخذ موقفا نقديا من الموروث حتى يزحزح الغطاء النظري القديم من أجل تنظير**

آخر. آخذا العقل و الطبيعة كمحورين في العلم الجديد ،الفيلسوف كل من يأخذ موقفا من التراث الغربي رادا إياه إلى داخل حدوده الطبيعية ،مجمعا إياه بعد أن ظهرت على إمتداد مائتي عام خطورة وضع نقل جديد فوق نقل قديم ،إذا ازداد العقل المعصر ثقلا فوق ثقل و اصبح لا فرق هناك بين من يقول : قال كارل ماركس ،أوبين من يقول :قال الله و الرسول ومن يقول قال :ديكارت و كانط "[1] و عليه " **تحولت ساحة كبيرة من ثقافتنا المعاصرة إلى وكالات حضارية، مذاهب عربية اشتراكية ،ماركسية لبرالية ،و جودته و ضد شخصانية قومية.....حتى لم يعد احدا قادر على أن يكون مفكرا أو عالما أو فنانا".**[2]

ويظهر الملمح العام لفكر حسن حنفي من تناوله لمفاهيم كبرى ،كمفهوم العقل و مقولة النقل و مفهوم الواقع، و قراءة هذه المفاهيم مع بعضها البعض داخل المشروع يدل بوضوح على ورودها بمدلولات متعددة و متباينة حسب سياقتها و مصادرها ،أخذت نصيبها من العرض الموضوعي و التحليل في مستوى أعلى من الدقة والعمق و الكفاية ،لكنها تبقى تعبر دوما عن مواقف صاحبها الفكرية و الفلسفية والإيديولوجية و السياسية و يغلب عليها الطابع التاريخي أحيانا ،والطابع النظري التجريدي في أحيان أخرى . رغم أن المشروع يعطي الأولية للواقع دون غيره[3].

ب) منهجه:

يتطلب البحث في أي مجال من المجالات، منهج يتبعه الباحث فالمنهج هو الوسيلة المتبعة لتحقيق غاية وهدفا وهو بذلك طريقة للمعرفة، وطرق المعرفة في الفكر العربي أخذت أبعادا مختلفة لتبنيها آليا ومناهج متنوعة تبناها العديد من تيارات الفكر العربي المعاصر

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة1985،الطبعة الثانية سنة 1987،ص 41

2 - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب،

3 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص ص 29، 30 .

ولكن رغم تعدد هذه التيارات والتوجهات المعرفية إلا أنها تلتف حول قضية واحدة وهي كيفية القضاء على التخلف وتحقيق التقدم. وفي هذا السياق وجب معرفة ما هي منطقات حسن حنفي والمنهج الذي اتبعه في مشروعه الفكري؟

"ينطلق حسن حنفي في البداية من الظواهر العلمية لتفسير الدين، وفق التطور الحاصل وبالتفاف حاد، يعود ويطلب إرجاع العلوم الإنسانية إلى الوحي، وتطرح بهذا قضية

التراث أو حضور التراث كمفهوم نهضوي في المعترك الأيديولوجي العربي المعاصر الذي يحكمه التناقض بين مكوناته الذاتية ومكوناته الموضوعية داخل الوعي العربي الراهن، ومثل هذا الموقف لا يخلو من التناقض، بين تمثل حضوره الأيديولوجي على الوعي العربي وانغماس هذا الأخير فيه وبين بعده الموضوعي التاريخي في اللحظة المعاصرة التي يحلم الوعي هذا بالانخراط الواعي فيها يعني هذا أنه تراث غير معاصر لنفسه ، غير معاصر لأهله"[1].

هذا و يرفض حسن حنفي التي وقع فيها سابقيه باستعمالهم منهجا مخالفا لموضوع البحث ،كأن يستخدموا المنهج المادي على الظواهر الميتافزيقية كالوجود مثلا و سماه خطأ "النعرة العلمية" و هذا ما طبع دراسات المستشرقين، " فالباحث المستشرق إما أن يرى الظاهرة موضوع الدراسة فيبعد تفسيرها الحقيقي و بعطي بدلا من ذلك تفسيرا مرتبطا بأبنيته النظرية و صوره الفكرية ، و في الحالتين يسقط الباحث صوره الذهنية و أبنيته النظرية على بحثه فتغيب الموضوعية."[2]

ما يفهم من هذا كله أن تحويل الظواهر الفكرية إلى ظواهر مادية خالصة أثناء الدراسة ببعدها عن الحقيقة الموضوعية المثالية و الخطأ الأكبر أن جميع المستشرقين ينكرون الوحي الاسلامي و من المستحيل بالنسبة إليهم ارجاع الظواهر التي يدرسونه الى أصول في الكتاب و السنة عن تعود او عن اعتقاد و قناعة و في هذا الصدد يقول حسن حنفي:" **إن المستشرق يعرف في قرار نفسه أن التفسير الوحيد للظاهرة هو ارجاعها إلى أصولها في الوحي، و مع ذلك يدير ظهره ،و يحاول إيجاد أصول تاريخية و اجتماعية لها.لا يعني ذلك توجيه نداء للباحثين لتراثنا القديم أن يؤمنوا أولا بالوحي والاسلامي ثم**

---

[1] - د. أحمد عبد الحليم عطية، جدل لأنا و الآخر ،قراء نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص .132

2 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها،ص144.

يبحثوا ثانية في تراثنا القديم ، بل يعني أن الباحث يمكنه أن يصف نشأة التراث و تطوره و كيفية خروجه من مصادره الأولى."[1]

وعليه فإن الدارس للفكر العربي الاسلامي في نظر –حسن حنفي– سيحتار في اختيار المنهج الأفضل للوصول إلى الغاية و الحقيقة الموضوعية ،خاصة و أن اشكالية المنهج

تزداد تأزما و " **لعل من أبجديات أزمة المنهج في الفكر العربي الاسلامي اهتزاز الأدوات المستخدمة ،و هشاشة القوالب المستعارة، و يعكس هذا كله طغيان الضبابية في المفاهيم السائدة ،و عدم الدقة في المصطلحات المتداولة، فنحن لم نتفق بعد حتى على المظلة التي ندرس تحتها، ونعني بها الفكر العربي الإسلامي."**[2]

وبهذا يرفض "حسن حنفي" كل مناهج المستشرقين و دراساتهم بحيث لا يمكن الاعتماد عليها في حل أزمة المناهج الفكر العربي الاسلامي و منه " **لا يمكن استعمالها كمصادر علمية أو كبراهين يمكن الاستدلال بها و الاعتماد عليها قبل تمحيصها أولا و التحقق من صدقها خاصة لما ظهرت معظم المناهج الاستشراقية في القرن التاسع عشر الأروبي فقد سادها المذهب الوضعي السائد ،فخرجت وضعية تاريخية الى حد أقصى، و استقر المشرق في القرن العشرين على هذا المذهب و لم يفارقه و أصبح متخلفا عن زميله الباحث الأروبي في العلوم الإنسانية."**[3]

ويذكر حسن حنفي الخطأ الثاني المتمثل في" النزعة الخطابية " الذي سيطر على أغلب الدراسات التي تعطي الأولوية للوحي على التاريخ ،و لكن بطريقة ساذجة يطغى عليها نوع من العاطفة و الانفعال (الجانب الوجداني) فهي بذلك تعاني من تصور عقلي وهي بذلك مضادة للنزعة العلمية ،فهي ناتجة عنى ضعف كبير في التكوين النظري للباحث " **فهو يعبر عن المستوى الثقافي الحالي من تطور الحضارة و لكنه متخلف عن المستوى الثقافي للتراث القديم الذي استطاع دفع المشاكل و إيجاد حلول عقلانية لها ، وقد بلغ التعقيل في تراثنا القديم درجه أن التراث كله أصبح نظرية في العقل ".**[4]

---

3 – حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت، ص72.

1 – عبد الرزاق قسوم، مدارس الفكر العربي الاسلامي المعاصر، تأملات في المنطق و المصب، عالم الكتب للنشر، الطبعة الأولى سنة1997، المملكة العربية السعودية ،ص16.

2 - حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت، ص174.

3 – المصدر نفسه، ص 97

و على هذا الأساس فقد استعملت الدراسات الخطابية عدة مناهج مختلفة على الخطابة التي لا ترتقي في نظر حسن حنفي إلى مستوى المناهج المحكمة ،و هو يرى أنها تتميز بالتكرار فقط وهي مجرد تحصيل حاصل و بهذا كانت مجرد مهارات و جدال لأن :" **التكرار هو سبب الأزمة الواقعة في الفلسفة الاسلامية عتد المشتغلين بها، فماذا يقول الباحث بعد شرح نظريات أخرى ،أو هكذا يبدون، فيتحول التدريس إذن إلى شرح على شرح ، و**

يقع الفكر في شرح على متون ثم يضيع الفكر و تشتد الأزمة عندما ينتهي الشرح ثم يتساءل السامع :و لكن ما صلة هذا كله بالفلسفة الاسلامية خاصة إذا كان على دراية بالفلسفة اليونانية و الحديثة و المعاصرة ، حيث يرى السامع فبها المشاكل المعروضة و الحلول المقترحة على مستوى انساني و بلغة العقل تلك هي إذن مهمة الباحث المعاصر فب أخذ المواقف بالنسبة للقديم و عرض ما قاله القدماء على حاجات العصر و متطلباته."[1]

ينبغي أن ندرك إذن أن الاستهلاك و التكرار للمناهج والنظريات و إعادة شرحها كافية لتحقيق أزمة استيعاب التراث ولا يؤدي ذلك إلى تحقيق نهضة شاملة تعيد للفكر العربي الشعور بالكرامة و الفعالية الانسانية و هذا يعني أن مسألة فهم التراث قائم على أسس عقلية نقدية تحاول فهم الماضي و تحديده ، و" **منهج الدفاع عن التراث الذي ظهرت معه النزعة الخطابية هو في الحقيقة مجرد خلط بين التفكير و التبرير ،لأنه يدافع غن الموضوعات دون أن يضعها موضع تساؤل ،وبالتالي لا يحاول معرفة أي بناء تطوري لها ،فتبقى بدون أسس عقلية تقوم عليها و إنما تقوم على أسس خاطئة في الفهم و مناهج خاطئة في التفسير يتحول معها الدفاع إلى غاية في ذاته يقبل الماضي كما هو بلا نقد أو تمحيص."**[2]

يؤكد "حسن حنفي" على أن الدفاع الذي يفتقر إلى النقد و التجديد هو هدم للعقل و ضياع للواقع ،و سيادة للانفعال و هذا استمرار في التعصب و التخلف النفسي وهكذا يتحول الدفاع إلى خيانة و نفاق ،" **فإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كيف تقول؟ دون أن تعرف ماذا تقول؟ فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف" ماذا تقول" دون ان تعرف كيف**

---

1 - حسن حنفي ،التراث والتجديد ،موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، الطبعة الخامسة سنة 2005 بيروت،ص98

2 – المصدر نفسه، ص.100

3- المصدر نفسه، ص 105.

تقول؟ و التراث و التجديد لتفادي الخطأين معا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول ؟ وهو التراث و كيف يقول ؟و هو التجديد "[1].

ومن هذا المنظور يصل "حنفي" في تحليلاته لأزمة المناهج في الدراسات العربية الإسلامية هي أن الأزمة لا تكمن في الموضوعات وإنما في المدخل إليها و كيفية استيعابها

وفهمها حيث يقول:" **إن التحدي الآن ليس هو الأزمة و إنما المدخل إليها ليس القضية إنما طريقة التعامل معها و معالجتها، فالأزمة في المنهج قبل أن تكون في الموضوع ، فالموضوع واحد منذ مائتي عام .لما تخلف المسلمون و تقدم غيرهم كما سأل شكيب أرسلان، أسباب التخلف و شروط النهضة كما عرض مالك بن نبي ،و الأزمة في كيفية المقاربة ،التشخيص و الحل، الوصف و المخرج ،الإدراك و التغيير."**[2]

ومن خلال هذا الفض الحاد للمناهج السابقة ،يرى "حسن حنفي" أن المنهج المناسب و الملائم في فهم التراث و التجديد هو المنهج الضواهري الفينومينولوجي ،و هنا وجب أن نتوقف قليلا أمام هذا المنهج بهدف مقارنته مع المنهج الذي سلكه "حسن حنفي" .

"إن الفينومينولوجيا تتعلق عموما بدراسة وصفته أولية للمعطى الظاهراتي ، لأجل تشكيل صورة مجرة، وهذه الوصفية ترتبط بضرورة تحديد الشروط العامة للظاهرة باعتبارها نفسها تمثل بعدا جوهريا للكائن"[3].

إن الهدف الذي يعلنه "هوسرل" من فلسفته هو إقامة دعامة مطلقة اليقين تقام على أساسها كل العلوم كافة والفلسفة خاصة وهو يرى" **أن المصدر الأعلى لكل إثبات عقلي هو الرؤيا أو حسب تعبيره هو الوعي المناخ الأصلي ينبغي الاتجاه إلى الأشياء ذاتها هذه هي القاعدة الأولى والأساسية في المنهج الفينومينولوجي. وكلمة شيء تعني هنا "المعطى" أي ما نراه أمام وعينا هذا يسمى" ظاهرة" لأنه" يظهر" أمام الوعي ولا تدل كلمة شيء ، على أن هناك شيئا مجهولا يوجد خلف الظاهرة"**[4].

---

1 - حسن حنفي، حصار الزمن، الحاضر (اشكالات)، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004 ،القاهرة ،ص56.

[3] - بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ص 542.

3 – حسن حنفي، حصار الزمن، إشكالات الحاضر، الدار العربية للعلوم، ،الطبعة الأولى سنة2007، بيروت لبنان، ص265.

وتتمثل الغاية من المنهج الفينومينولوجي إدراك العلاقة بين الذات والموضوع ،والتي تحدد وفق قصديه الذات لأن المناهج التقليدية لم تعط للموضوع المدرك القيمة التي يحتلها كطرف في حقل المعرفة، ولهذه الضرورة انتشرت الفينومينولوجيا في الأوساط الفكرية المعاصرة، وقد اتخذ حسن حنفي من الفينومينولوجيا منهجا له لتحليل الخبرات في الماضي والحاضر حتى يصل إلى تطويه محكمة في التفسير كما أنها– الفينومينولوجيا– تكمن

العقل من تجاوز الأشياء المادية إلى ظواهر خالصة تبدو في الشعور وتكون مجالا للإدراك الحسي و المعرفة اليقينية.

وتمسك "حسن حنفي "بالأصول الفينومينولوجية يظهر من خلال قوله" **الصور حقائق تجمع بين الذات والموضوع، بين الرائي والمرئي، فلا تضحي بالرائي في سبيل المرئي كما تفعل الوضعية، ولا بالمرئي ولا تشعب،تربط ولا تفكك حتى يستطيع الإنسان أن يعيش في عالم واحد قادر على التعامل معه بدل أن يعيش في عالمين**"[1] .

وعليه كان المنهج الفينومينولوجي هو منهج البحث في فكر "حسن حنفي" صاحب مشروع "التراث و التجديد" من خلال إعتماده على و الوعي التاريخي و الوعي العملي في دراسة الوافد الماضي و الحاضر وللوصول إلى نظرية لاهي مثالية فقط و لا هي واقعية فقط بل هي متوازنة تأخذ كل جوانب الحياة في الإعتبار.

فمهمته الباحث هي تحويل الموضوع من أساسه المادي كتاريخ أو حادثة أو واقعة أو فرقة إلى أساسه الفكري الشعوري، تماما كما يفعل الظواهري في إيقاف الحكم وتعليقه، فالباحث في التراث يسير على المنهج نفسه، وذلك بوضع الحوادث التاريخية خارج دائرة الاهتمام ورؤية ماهية الفكر ونشأته في الشعور وهذه مهمة الشارح أيضا و" **الشارح هو تحويل النص إلى نظرية خالصة في العقل نصرف النظر عن بيئته الثغاء الأولى التي نشأ فيها وبالتالي..... يصبح جلبا نداته ويتحول: إلى حكمة بعد أن كان تاريخا، المطلوب إذن، تحويل الفكر التاريخي إلى نظرية خالصة في العقل**"[2].

1- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الطاهرتية، ط 1 ، 1984، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ص 77 .

2- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين ،مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص 142.

3 – عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهيرمينوطيقي، ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى سنة 2012، ص 07.

إضافة إلى المنهج الظواهري يعتمد "حسن حنفي" على المنهج التأويلي الذي مارسه القدماء أمثال ابن سينا و ابن رشد و علماء أصول الفقه و غيرهم إلا أنه ازدهر و تطور الى مصاف " علم النص " أو الهيرمينوطيقا، فيربط "حسن حنفي " بين الفينومينولوجيا و الهيرمينوطيقا في إطار التأويل الذي يحقق الانسجام بين الذات و الموضوع و" ينصب على ايضاح مقاطع غامضة و غير مستوعبة من النصوص لأن المعنى الجلي و الواضح لا يحتاج الى تفسير أو تأويل ،و قد يحتاج الى تأويل ليكون معقولا "[1]،وبالتالي يبدو أن

وظيفة التأويل لا يمكن الاستغناء عنها في انكشاف المعنى و إيضاحه،" فالتأويل هو مجرد إيضاح أو إنارة لما تم تعتيمه في الفهم ،فالفهم ليس مجرد قبض بديهي ومعيد لدلالة النص و إنما يتعثر أمام الوضعيات الغامضة و المبهمة من القصدية الكامنة في النص، فهو يستعين بالتأويل من أجل رفع الحجب و الكثافات التي تحول دون إدراكه لذاته غير الغيرية المتجسدة في النص" [2]،و الهيرمينوطيقا التي سميت في بعض الكتابات ب"علم التأويل" أو "التأويلية" الذي يبحث عن تفسير النص و فهمه و هدف الهيرمينوطيقا هو" تجاوز أزمة المعنى التي يعاني منها الانسان، من خلال إقامة تأويل على أسس صحيحة ،بالتركيز على تعدد القراءات بدل القراءة الواحدة .من أجل الوصول الى المعنى العميق و الخفي بدل السطحي "[3].

ونظرا لأهمية التأويل الهيرمينوطيقي في تأويل النص و وتأويل الذات ،يقول" حسن حنفي" :" **ان الغاية الباطنية من التأويل هو التأكيد على وحدة الذات و الموضوع من خلال النص الذي يصور الموضوع من خلال المؤلف ،و يفهمه الوعي من خلال القارئ سواء كان الموضوع هو الله والمعالي أو الطبيعة و العالم أو الانسان و المجتمع ،التأويل هو حوار بين المؤلف و القارئ حتى لو اختفى الموضوع و أصبح التأويل مجرد حوار بين الذوات**"[4].

وهكذا يستخدم "حسن حنفي " عدة مناهج في مشاريعه الفلسفية و الفكرية مستمدة بعضها من التراث القديم و بعضها من الثقافة المعاصرة الغربية "ففي الجبهة الأولى و هي

---

1 – محمد شوقي الزين، الازاحة و الاحتمال، صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الاولى سنة 2008، ص .59

2 – كيحل مصطفى ، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى 2011

3 - حسن حنفي، حصار الزمن، الحاضر (اشكالات)، مركز الكتاب للنشر، الطبعة الأولى سنة 2004 ،القاهرة ،ص78.

أضخم و أكثر تفصيلا وأعمق في التاريخ منهجها هو إعادة البناء من خلال قراءة المضمون و تحليله و نقده وإعادة صياغته و بناءه وفق ما يتطلبه العصر ليصبح جاهزا للاستعمال في ظروف ثقيلة و ليس في الظروف التي نشأ و عمل فيها ،و المنهج المتبع في الجبهة الثانية ،جبهة التراث الغربي من خلال علم الاستغراب الذي يقوم بنقد و تحليل الوعي الأوروبي في مصادره و بدايته ونهايته باستخدام المناهج الواردة في التراث القديم و في التراث الغربي

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

الحديث و المعاصر التي تضع الغرب في مكانه الطبيعي و تمكن الشعوب المقهورة من الانطلاق نحو الحضارة و بناء التاريخ ،و نظرية التفسير تبنى في المشروع باستخدام منهج تحليل الخبرات الذي يكون وحده الكفيل بالتنظير للواقع المباشر ولا سبيل لتغيير الواقع و تحديده في غياب نظرية التفسير المحكمة."[1]

1 -جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها،ص ص180،175.

المبحث الثاني:حسن حنفي ومشروع النهضة:

"يبدأ الدكتور حسن حنفي مشروعه النهضوي من موقع الإصلاح الديني وموقع هذا الأخير بالنسبة للنهضة العلمية، معتبرا بأن مهمته الإصلاح الديني مهمته سلبية لا تتعدى نقد صور التفكير الديني التقليدي(**القضاء والقدر**) ونقد أنماط السلوك الديني عند المؤمنين(**التقليد مثلا**)، أي أن الإصلاح الديني يقوم بمهمة تصفية الماضي وتحديد التراث القديم ولكنه لا يضع أسس نهضة فكرية شاملة لإعادة بناء التفكير الديني نفسه وتحويله إلى نظرية علمية فالإصلاح الديني يوقظ، ولكن النهضة العلمية تؤسس لذلك قام الإصلاح الديني على أسس انفعالية، بينما قامت النهضة على أسس عقلية، فيرى بأن الأفغاني قد أثار النفوس أيقضها، ولكن هذه اليقظة لم تتحول إلى نظرية عقلية لذلك كان تأيدها وقتيا لم يستمر ولم تتعد مرحلة الإثارة عند تلاميذه."[1]

ويفسر" حسن حنفي" التصدع القائم في الساحة العربية بعدم وجود مراجعة نقدية لتراثنا بشكل جذري يسمح بايجاد مناعة قوية ضد الزخم الغربي " **فالاصلاح الديني ظل أشعريا في أسسه النظرية و لم الى الاعتزال ،و كان النمط الغربي له الصناعة و القوة و النظم البرلمانية نمطا للتحديث ،و التيار الليبيرالي أيضا نشأ على منوال الغرب و بناء على الإعجاب بمبادئ الثورة الفرنسية ،و لكنه كان مجتث الجذور لا يؤصل مفاهيم الحرية و المساواة من الداخل أي في تراث الأمة ،فتحولت الليبيرالية أيدولوجية الطريقة الحاكمة و ظل الشعب في جهله و تخلفه التاريخيين أما التيار العلماني فنشأ أيضا مجتث الجذور لا**

1 - أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين)، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص115.

2 – حسن حنفي، الدين و التحرر الثقافي، القاهرة، مكتبة مدبولي ،سنة1988،ص 211.

أصول له و لا منابت، مقلدا للغرب ،فسرعان ما أنتهي الى التغريب و الانعزال عن الوافد الرئيسي التاريخي في ثقافة الجماهير."[1]

و عندئذ تكون التيارات الثلاث الاصلاحية و الليبرالية و العلمانية في نظر "حسن حنفي" قد نهضت على أن الغرب هو نموذج التحديث فوقعت في التقليد الذي أبعدها عن واقعها وفي هذا السياق اندرج كتابه "التراث و التجديد" الذي يهدف من خلاله الى تأسيس نظريته الفكرية الحضارية في ظل الأزمة التي تتخبط فيها الأمة العربية الاسلامية و هي أزمة تتميز بالعمق و التعقيد و تزداد تفاقما من وقت لآخر في وقت يزداد فيه الغرب تطورا و ازدهارا ،و

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

أمتنا تراثية تاريخية ،لا يمكنها أن تعبش خارج موروثها الثقافي و الحضاري كما لا يمكنها أن تنعزل عما يجري في عصرها .

لقد لاحظ" حسن حنفي" أن "كل العلاقة بين القديم و الجديد أي بين الأصالة والمعاصرة هي التحدي الكبير والأعظم بالنسبة لكل فرق الأمة لذلك يجد أن حل هذه القضية حلا صحيحا يوصلنا إلى تحقيق مشروع النهضة ،لذلك يقع على عاتقه مهمة تصفية الحساب مع الماضي ،وعلى يديه سيولد الحل الصحيح لأن الذين سبقوه لم يستطيعوا أن يأتوا بالفهم والحل الناجعين لقضية الأصالة والمعاصرة لأنهم ابتدئوا بالخطأ والخطأ المميت برأيه، تنكرهم للوحي لأنهم اعتبروه نتاجا للتاريخ ،فإن أصحاب التراث دعاه الدعوة إلى الأصل على الرغم من بدايتهم الصحيحة وذلك عندما أعطوا الأولوية للوحي على التاريخ فإنهم على العموم وقعوا ضحية الخطابية والعاطفية والقصور النظري، ولم يسلكوا طريق مقارعة الحجة[2]".

وبهذا يرى "حسن حنفي" " **أن الأصالة هي الفكر على مستوى التاريخ ،و المعاصرة هي الواقع على مستوى السلوك ،الأصالة أساس الفكر و المعاصرة احساس بالواقع، والمشكلتان وجهتان لمنطق واحد و هو منطق التجديد الذي تعرضه الأصالة و المعاصرة على المستوى الأفقي ، و الذي يعرضه الفكر و الواقع على المستوى الرأسي ومن ثم**

1- أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر (قراءة نقدية في فكر حسن حنفي في عيد ميلاده الستين)، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى سنة 1997، ص ص 115، 116.

تصبح الأصالة و المعاصرة منطق الإلتزام بقضايا العصر مع أكبر ضمان ممكن من حيث إمكانيات الحل و التطبيق."[1]

ومفهوم الأصالة عند "حسن حنفي" لا يعني القديم وحده بل هو أداة لوعي الواقع بكل أبعاده ،لأن هذا الأخير هو جزء من التاريخ و " **التاريخ جزء من الواقع لأنه مازال يعمل كرواسب في أعماق الأفراد ، ليست الأصالة هي بحث عن النوعية بأي ثمن بل رؤية صائبة للواقع باعتباره مرحلة من مراحل التاريخ ،الأصالة هي إتحاد بالواقع نفسه و إعادة تفسير للقديم ،كله لخدمة هذا الواقع و من ثم تصبح الأصالة مرافدة للمعاصرة ،و لكنها معاصرة أعمق جذور في التاريخ و أكثر تحقيقا لوحدة الشخصية الوطنية"**[2].

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

يؤكد "حسن حنفي" أن المعاصرة هي " **إعطاء الأولوية للواقع على الفكر ،حتى يصبح الفكر هو رؤية هذا الواقع نفسه ،و يتم ذلك في قراءة النصوص الدينية أو التراث القديم ،فإذا كانت الأصالة هي تحويل الفكر إلى الواقع فإن المعاصرة هي تحويل الواقع إلى فكر".**[3]

ومن خلال كتابات "حسن حنفي" نجده يستعمل المفاهيم (الأصالة، المعاصرة) بمعنى آخر(الحداثة، التقليد) أو (الأنا، الآخر) ،(التحديث، التغريب) وهي متداخلة مع بعضها البعض ،فإننا نجده يرى أن الحداثة قد تعني اتباع أساليب العصر و مناهجه في تحليل التراث و قد تعني التجديد في مواضع أخرى و" **الحداثة لا تعني الغرب بالضرورة ، وإنما تعني قدرة التراث على أن يجتهد طبقا لظروف العصر**"[4]، وهذا ما يراه حنفي عندما يربط مفهوم الحداثة بمفهوم التقدم الذي هو " **شوق واضح شعوريا وإن كان غامضا ذهنيا و صعبا عمليا**"[5] و يقصد "حسن حنفي" هنا أن التقدم هو الإنتقال من التقليد إلى الحداثة أي أنه غاية أو هدف للتغيير من نمط الماضي إلى الحاضر و عليه يكون صعب من الناحية العملية.

---

2 - حسن حنفي، قضايا معاصرة، في فكرنا المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة1983، ص 50.

3 – المصدر نفسه، ص 51.

1 – المصدر نفسه، ص 52

2– حسن حنفي، الجابري، حوار المشرق والمغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة 1995، ص 71.

3- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن،(ج1)،التراث والعصرو الحداثة، دار قباء للطباعة والنشر،الطبعة الثانية1998،ص132

4 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضارية، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص

إن المشكلة الفلسفية التي طرحها ولا زال يطرحها صاحب مشروع "التراث و التجديد" و المرتبط مباشرة بالواقع في مستوياته المختلفة ،اجتماعية وسياسية واقتصادية و تمثل إحدى الجبهات الثلاث وهو السؤال الذي لم يفارق في أتون الاندفاع و التصدي و الانكسار و التحدي يطرح شدة و بوضوح و بدقة " لكن التحدي الأعظم هو هل نحن قادرون على التنظير المباشر للواقع؟ أي على الحصول على أكبر أداة من أدوات التحليل لإيجاد نظرية مباشرة عن الواقع ،أي لإنشاء التراث ، يعني أن المرحلة التالية ليست فقط أخذ موقف من التراث القديم بل إنشاء تراث كما أنشأ القدماء تراثا"[1].

لقد اعتبر "حسن حنفي" التراث مكون أساسي من مقومات الأمة الذي يثبت هويتها و حضارتها لأن " الحضارة المتميزة تحتفظ دائما في جانبها الثقافي بخصوصيتها الذاتية، و

إن تطورت بحكم سنة التطور، دون أن تفقد كينونتها المتمثلة في تراثنا المشترك، و دون أن تضيع صورتها الإنسانية في الوقت ذاته "[2]

في حين أن بعض المفكرين العرب يعتبر التراث ما هو مقدس وغير مقدس أما البعض الآخر " فيخرج المقدس من للتراث، فيرى أن التراث مما صنعه البشر ،ومما هو بعيد عن الأديان –أي عما جاء من عند الله–وهذا أيضا ليس بصحيح لأن القرآن الكريم ينص على أن الكتاب يورث :ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا ،أي أن التراث هو كل ما ورثناه عن السلف ،حيا كان أو ميتا ،مقدسا كان أو غير مقدس"[3]، و على هذا المنوال يبين "حسن حنفي" أن ماهية التراث لا تكمن في كونه ديني فقط بل يتعدى ذلك إلى ما هو واقعي ، محلي، " **ففيه – التراث – يتداخل الديني و الشعبي المقدس والدنيوي.لا فرق في استخدام الشعبي بين الاستشهاد بالآيات القرآنية و الحديث النبوي و بين الاستشهاد بالمثل الشعبي و بسير الأبطال كلاهما مصدر و منبعا لمعايير السلوك و تتداخل معهما أقوال الآباء و الأجداد و نصائح المعلمين والرواد ،الكل حجة سلطة وليس حجة عقل يتداخل فيه الصحيح و الموضوع ،التاريخي الأسطوري ،المروي و الخيالي ،الكل يكون مخزونا في اللاشعور التاريخي للأمة و في ذاكرتها الجماعية** "[4].

---

1 – علي فهمي خشيم، المستقبل ينبثق من الماضي، ورقة مقدمة ضمن المشروع الحضاري العربي، مجلة الوحدة، السنة العاشرة، العدد 105، مارس 1994، تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ص 67.

2 – محمد أحمد خلف الله، علاقة الهوية والتراث بالإسلام، ضمن بحوث و مناقشات ندوة تكنلوجيا تنمية المجتمع العربي، في ضوء الهوية والتراث، ا لقاهرة ، العربية للدراسات و النشر سنة 1985،ص 45.

3 – حسن حنفي ،التراث والتجديد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1981،ص13.

ومن هذا المنطلق يعرف "حسن حنفي" على أنه " **مجموعة الأجوبة لمجموع الأسئلة التي طرحها جيل معين في ظروف تاريخية خاصة ،و لما كان الزمان متغيرا فلكل جيل أسئلته و أجوبته التي قد تتفق و قد تختلف مع أسئلة جيل آخر إجاباته ، لذلك رأى بعض الأصوليين القدماء أن إجماع عصر سابق ليس بالضرورة ملزما لعصر لاحق وإن تقليد المجتهد اللاحق لمجتهد سابق لا يجوز لأن التقليد ليس مصدرا من مصادر العلم**"[1]

ونفهم مما سبق أن التراث ليس مخزون ثابت فهو متغير ومتحدد من جيل لآخر، ف "حسن حنفي" يرفض كل تراث تقليدي فهو " **يرى أن التراث ما زال حيا في قلوب الناس و يؤثر فيهم سلبا و إيجابا يلجئون إليه سائر الأزمات و يحتمون به إذا اشتدت بهم عوائد الدهر....فالمطلوب قراءة التراث و توظيفه توظيفا جديدا بحيث يصبح نظرية للعمل ،و موجه للسلوك و ذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الانسان**"[2].

و بناء على هذا القول فإن مفكرنا يدعوا الباحثين إلى الانشغال في التراث على سبيل التحديد لا على سبيل التقليد، فالتراث جزء من التغير الاجتماعي قد يؤثر بالسلب أم بالإيجاب و هذا قد يكون تابع لسلطة الدولة و المجتمع و هكذا يكون التراث عند حنفي نوعان" **تراث السلطة و تراث المعارضة ، تراث الدولة ،تراث الشعب، الثقافة الرسمية و الثقافة المضادة، فالثقافة كالمجتمع تتمايز بتمايز السلطة في المجتمع ،و كما تكون المجتمع من طبقات إجتماعية و كان الصراع على السلطة فبه طبقا لصراع الطبقات ،أفرزت كل طبقة أي لكل سلطة تراثها وثقافتها ...التراث نتاج إجتماعي لا يسبق وجود المجتمع ،وليد الصراع الاجتماعي و السياسي وليس سابقا عليه ، إفراز إجتماعي كأحد أشكال القوى ، التراث سلطة لأنه يمد السلطة السياسة القائمة شرعيتها و التي تحاول أن تنزع الشرعية عن سلطة المعارضة و تراثها** "[3]

ان قضية التراث مرتبطة اذن بمصير المواطن و حياته لأنه أصبح جزء من الدولة ومن العالم ككل ، و فهو بذلك يحدد وطنية الإنسان و هويته و هنا يقول" حسن حنفي" و لكنه

---

4 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، في الفكر العربي المعاصر (ج2) ،القاهرة،دار قباء للطباعة و النشر ،الطبعة الاولى سنة1968، ص589

1 - حسن حنفي ،التراث والتجديد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة 1981،ص13

2 – حسن حنفي، هموم الفكر والوطن،ج1،دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة سنة1998 ،ص 345

3 – حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ،الطبعة الخامسة سنة2002، ص 23

قضية وطنية تمس حياة المواطنين و تتدخل في شقائهم أو سعادتهم ....قضية التراث و التجديد قضية وطنية لأنها جزء من واقعنا ،نحن مسؤولون عنه كما أننا مسؤولون عنه، كما اننا مسؤولون عن الشعب و الأرض و الثورة ،و كما أننا مسؤولون عن الآثار القديمة و المأثورات الشعبية "[1].

وبما أن التراث قضية وطنية يعتبر أيضا قضية وطنية يعتبر أيضا قضية شخصية تخص مجتمع عن مجتمع آخر و انطلاقا منه تحدد قومية الباحث و الدارس له " **فالتراث قضية شخصية نلتزم بها ،و تختلف دراستنا له عن دراستنا للتراث الهندي أو الفارسي أو**

الصيني أو الغربي لأننا في هذه الحالة نكون مجرد باحثين في حين أننا في الحالة الأولى نكون أكثر من باحثين بل نكون ملتزمين بقضية شخصية"[2] ،أي أن في الحالة الأولى الذات الدارسة و الموضوع المدروس شيء واحد أما في الحالة الثانية فتختلف الذات عن الموضوع لأن تراث الغير لا ينطلق من هوية الذات و عليه يؤكد "حسن حنفي" على صفة الشخصية بالنسبة للباحث ويرفض كل الدراسات التي تغيب عنها هذه الصفة فيقول:" **تغيب على معظم دراسات باحثينا في التراث عدم أخذ قضاياه كقضايا شخصية و الاكتفاء بعرض المادة القديمة كما هي الى حد التبسيط الرخيص المخل بأهمية مثل هذه القضايا للقدماء و قد تطايرت من أجلها الرقاب حينذاك، في حين و أن المعصرين و قد ضاعت أرضهم و ثرواتهم لم يهتزوا ولم يلتزموا، و ظل التراث بالنسبة لهم قضية ميتة لأنهم ميتون....لذلك كان التراث و التجديد تعبيرا عن الحياة الشخصية للبحث .والمشاكل التي عرضت له إبان العشرين السنة الماضية، و حرصه على التراث وعلى تغيير الواقع في آن واحد، و هي قضية المثقفين الثوريين لهذا الجيل.**"[3]

إن الحامل للتراث والدارس له نظر "حنفي "هو القادر على تجديده في ذاته ، فليس الغاية من تجديد العقيدة والشريعة أن نزيد عليها وإنما تحول أن نحول علم الوحي إلى علم محكم وأن تنتقل من علم العقائد الدينية إلى العلوم الإنسانية، فليس التراث الماضي فحسب ، بل هو معطيات الحاضر أيضا وهو جزء من الواقع،" **لكن التحدي الأعظم هو هل نحن**

---

1 - المصدر نفسه، ص24.
2 – المصدر نفسه، ص 25.

قادرون على تنظيم المباشر للواقع؟ أي على الحصول على أكبر أداة من أدوات التحليل لا يجاد نظرية مباشرة مع الواقع أي لإنشاء تراث .يعني أن المرحلة التالية ليست فقط أخذ موقف من التراث الغربي أو من التراث القديم بل إنشاء كما أنشأ القدماء تراثا."[1]

يريد حسن حنفي أن يمنح "التراث" بعد واقعيا وعصري وذلك بعد إعادة صياغته وبنائه لإنشاء تراث جديد لبناء علاقة صحيحة اتجاه الآخر ورده إلى حدوده الطبيعية وهذا يعني أن الفكر العربي يحتاج إلى تجديد مصادر العقلانية انطلاقا من قراءة الإسلام وتراثه يشكل مخيال الأمة ومخزونها النفسي الذي لا يمكن تجاوزه." ولكن ينبغي أن ندرك، و أن

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

نقبل فكرة أن التراث لا يتضمن حلولا جاهزة، لا كلية ولا جزئية للعصر، و هذا ينطبق على تراثنا و تراث غيرنا. فالحلول تصوغها الجماعات في كل حقبة من التفكير في المشاكل التي تواجهها ولا تستمدها من التراث أو من الغير.و لم تقم النهضة في الغرب أو في الشرق لأنهما كان يملكان تراثا أفضل من غيرهما، فالنهضة هي التي تخلق بشكل ما التراث عندما نعيد تأويله و تفسيره وتستوعبه ضمن اشكالياتها. و بمعنى ما إذا فقدت الجماعة كفاحها من أجل إيجاد حلول جديدة لمشاكلها فقدت الحاجة إلى التراث و المرجع و أفقدت التراث قيمة أيضا."[2]

لقد أكد حسن حنفي ذلك في أكثر من كتاب بأن الدفاع إلى تجديد التراث هو" **إعادة النظر في التراث الفلسفي خاصة وفي التراث كله عامة، علومه و أبنيته وحلوله واختياراته وبدائلها الممكنة هي تعبر الظروف كلية من عصر ومن فترة إلى فترة .** "[3]

و نظر لعجز المناهج و الاتجاهات القائمة حاليا على حل الأزمة الثقافية و فشل محاولات التغيير، صار من الضروري تحديد التراث بطرق تسمح بإيجاد حلول لهذه الأزمة بفعالية و نجاعة و ذلك بعد قراءة التراث و نقده و إعادته صياغته ثم بنائه وفق معطيات العصر، و

---

[1] - محمد وقيدي، عبد الصمد بلكبير ومحمد بنيس، من بيروت إلى النهضة، أسئلة واختبار، حوار مع حسن حنفي، مجلة الثقافة الجديدة، المغربية، عدد 29، سنة 1983، ص .15

1 - برهان غليون، إغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي(المغرب، لبنان)،الطبعة الرابعة سنة 2006،ص273.

2 – حسن حنفي، دراسات فلسفية ،الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة 1998، بدون طبعة، ص 109.

3 – حسن حنفي ، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة2002،ص 176.

هي مهمة مشروع "التراث و التجديد" بجبهاته الثلاث الذي يعبر فيه "حسن حنفي" عن موقفه الحضاري و القومي الوطني لأن" **المعركة الحقيقية الآن معركة فكرية و حضارية و لا تقل أهمية عن المعركة الاقتصادية أو المعركة المسلحة إن لم يكن أساسها .و إن الهزيمة المعاصرة هي في جوهرها هزيمة عقلية كما أنها هزيمة عسكرية. و إن الخطر المداهم الآن ليس هو فقط ضياع الأرض بل قتل الروح و اماتتها الى الأبد و انجرارنا الى نقد الأصالة في تراثنا القديم و نقد المعاصرة التي حولها تراثنا القديم مع الثقافات المعاصرة له .التراث و التجديد هو مشروع الأصالة و المعاصرة التي لم يستطيع أن تحققها حتى الآن،و بعد توالي الهزائم ، و لم نكن نلمسها إلا دعاية أو ادعاء ،ويشمل التراث و التجديد ثلاث أقسام ،تعبر عن موقفنا الحضاري الحالي الذي يحدد اتجاهات الدراسة و البحث** "[1].

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

إن الأقسام الثلاثة التي تبلور مشروعه الحضاري و تشمل الجبهات الثلاث :موقفنا من التراث القديم ،و من التراث الغربي ،موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير و هي على النحو الآتي :

القسم الأول: الموقف من التراث القديم ويشمل على 8 أجزاء.

القسم الثاني: الموقف من التراث الغربي ويشمل 5 أجزاء.

القسم الثالث: الموقف من الواقع ونشمل 3 أجزاء.

وهكذا ينجز حسن حنفي الجزء الأول في القسم الأول تحت عنوان من "العقيدة إلى الثورة" و" من النقل إلى الإبداع "و "من النص إلى الواقع "و "من الفناء إلى البقاء" و "من النقل الى العقل" و " العقل و الطبيعة" و "الانسان و التاريخ" وأنجز موقفه الثاني ضمن كتابه "مقدمة في علم الاستغراب" والذي يشمل ثلاثة أجزاء وتشمل مصادر الوعي الأوروبي وبداية الوعي الأوروبي ونهاية الوعي الأوروبي أما القسم الثالث يشمل المناهج والعهد الجديد والعهد القديم.

وسنحدد هنا تصورا عاما لمواقف حسن حنفي الثلاثة في التحليل الآتي:

موقفه من التراث القديم:

يرى حسن حنفي " **أن التراث القديم كله استجابات ذهنية للأجيال سابقة إزاء أحداث**

عصر مضى ويكشف عن صراع القوى وتما على تراث القوى المغلوبة وثم تدوين كل شيء في التاريخ والأصول والعقائد أي في إيديولوجيات الشعوب من وجهة نظر الغالب وهيئة مؤامرات الصمت والتشويه حول تراث المعارضة، فتحول هذا التراث إلى تراث سري كما هو الحال عدد الشيعة أو التراث علني لفته مؤامرات الصمت حتى هدد بالاندثار مثل تراث الخوارج (المعارض العلنية من الخارج) وتراث المعتزلة (المعارضة العلنية من الداخل)."[1]

من خلال هذا الطرح يتبين لنا أن التراث ليس مصدر ثابت مطلق يمكن أن يعتمد عليه الباحث في تحليلاته فالتراث المحفوظ في الكتب القديمة كان لصالح السلطة على حساب المعارضة ، ويوضح حسن حنفي موقفه من علم العقائد الذي تتغلب فيه الفرق الناحية التي عبر عنها بعقائد السلطة على عقائد الفرق الهالكة (المعارضة) وهذا يعني أن علم العقائد

هو نتيجة اختيارات سياسية محضة فهو ليس علما مقدسا . أما نظرته لعلوم الحكمة القديمة فكانت نظرة سلبية لطغيان الإشراق الصوفي " **بحيث تركزت نظرية المعرفة و السعادة فيها على الاتصال بالعقل الفعال و القرب منه و الاتحاد به ، صارت الطبيعيات مقدمة للإلهيات أو هي إلهيات مقلوبة ، و المنطق صوريا لا حياة فيهو لا جدل ولا صراع و لا واقع و لا بشر، و الفضائل النظرية أقص؟ من الفضائل العلمية ، فقد تكون مهمة الحكيم اليوم التخلص من الإشراقيات القديمة دفاعا عن العقل ، مع النظر الى الطبيعة نظرة علمية خالصة مميزا بين الفكر العلمي و الفكر الديني و اختيار منطق حسي طبيعي تجريبي مادي كاختيار الأصوليين ، و اعطاء الأولوية و للقيم العلمية على القيم النظرية و للشعوب والمؤسسات على خصال الرئيس وصفات الامام**"[2] .

كانت نشأة علوم التصوف عند القدماء في نظر "حسن حنفي " نتيجة لظروف تاريخية مرتبطة بحرص الناس على الدنيا و استشهاد الأئمة من أهل البيت و انتهاء المقاومة

---

[1]- حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص 21.

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص.22،23

2 - حسن حنفي ، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة2002،ص 151.

3 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص 23

الخارجية أي أن هناك هروبا من الواقع المأساوي الذي استعصى خلاصه، فظهرت القيم السلبية كالورع و الرضا و الصبر و التوكل و غيرها.

ويتضح موقفه من علم أصول الفقه القديم في قوله :" **فهو علم الواقع و الحياة الذي يجب أن لا يغيب فيه الانسان**"[1] لأنه العلم الوحيد الذي وظف العقل في معالجة قضايا الناس و المصالح العامة " **ومع ذلك فقد أعطى القدماء الأولوية للنص عل الواقع كما هو في ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة دفاعا عن النص الجديد في مجتمع قديم تكون مهمتنا اليوم إعطاء الأولوية للواقع على النص دفاعا عن الواقع في عصر لا يعتمد إلا على علوم الواقع ويعاني من النص** " .[2]

إن حنفي يعطي الأولوية للواقع أي للاجتهاد والإجماع على النص وهذا من أجل النهوض بثورة فكرية تحرر الواقع من حمايته وقد عثر عن ذلك في قوله: " **ليس مهمته علم**

أصول الدين الجديد نظرية فحسب بل هي أيضا مهمته عملية من أجل تحقيق الايدلوجيا بالفعل كحركة في التاريخ بعد تجنيد الجماهير من خلال ثورة عقائدها " .[3]

ويقول أيضا : " **فإذا كان القدماء في دفاعهم عن التوحيد قد فتحو البلدان وعزوا في سبيل الله وحرروا الوجدان البشري أعلاه لكلمة الله أكبر فانتصروا في الفكر والشريعة وحققوا النظر في العمل، إننا اليوم ندعوا الأمة إلى الاجتهاد وإلى تحرير البلدان واستعادة الأراضي المغتصبة** "[4].

يعتقد حسن حنفي" أن العلوم النقلية البحتة الخمسة (علوم القرآن ، علوم التفسير، علوم الحديث ، علوم السيرة ،علوم الفقه) لم تنل حقها من الدراسة و النقد والتطوير ولم تحول الى علوم نقلية خالصة مثل العلوم الرياضية و الطبيعية و الانسانية " **وتركت في أقسام اللغة العربية و آدابها و في أقسام الدراسات الاسلامية كما هي دون تحوير أو تبديل تدعمها أنظمة الحكم و تعممها القوى المحافظة على كل الأقسام بما في ذلك أقسام اللغات الأجنبية حماية للطالب من المذاهب الهدامة و من الإيغال في الفكر، كما كانت الأنظمة تفرض الاشتراكية العربية و المقررات القومية من قبل و مع أن هذه العلوم نشأت لغايات**

---

1 – حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول، المقدمات النظرية، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة،1988،ص79.
2 – المصدر نفسه، ص 24.

معينة حفاظا على نصوص الوحي بعد التدوين و نجحت في ذلك عن طريق النقد الخارجي للروايات فإنها بالنسبة لجيلنا علوم في حاجة الى تطوير عن طريق النقد الداخلي للمتون إما بتحليل الأشكال لأدبية أو بتحليل المضمون. و بالتالي يمكن تحديد غايات حديدة لها لتطويرها."[1]

أما االعلوم العقلية الرياضية (كالحساب و الهند ،الجبر...) والعلوم الطبيعية(كالكيمياء و الطب والصيدلية....) و العلوم الانسانية (اللغة و الأدب و الجغرافيا و التاريخ) ، فيحاول "حسن حنفي" إعادة بنائها تحت عنوان "الوحي و العقل و الطبيعة" لأنه لم يتم إبداع المعارف العقلية و إنما تم استهلاكها فقط ولم يتم اكتشافها و إنما تم نقلها و ال ،فقد "**تكون مهمتنا اليوم هي البحث عن الصلة بين التوحيد و حساب اللامتناهي أو الفن العربي، و الصلة بين واقعية الاسلام و نظريته الحسية المادية و بين نشأة علوم الطب و الكيمياء و**

الصيدلية و الحيوان و النبات و الصلة بين الانسان سيدا للكون سخرت قوانين الطبيعة لصالحه وبين التقنيات الاسلامية و اختراع الآلات."[2]

وبناء على ما سبق يتجلى لنا أن "حسن حنفي" يرفض التقليد الأعمى لما سبق من العلوم فمن مسؤولية الباحث إعادة تمحيصها و تطويرها لبلوغ الحقيقة وإيصالها للناس و" **تقديم التراث لهم في مواجهة قضية اللغة و المصطلحات و مستويات التحليل ،و المحاور و البؤر الحضارية و إعادة الاختيار بين البدائل القديمة، فالتحدي الذي يواجه الباحث اليوم هو القدرة على تجاوز اللغة القديمة و محاولة إعادة بنائها و التخلي عن أشكالها القديمة ووضع معانيها في ألفاظ جديدة أكثر اغراء للناس و أكثر قبولا لدى الشبان و الطلاب ،فغالبا ما تستهوي المفكرين اليوم ألفاظ الحرية و العدالة و المساواة و التقدم و الشعب و المجتمع و التاريخ و لا تستهويهم الألفاظ القانونية القديمة التي توحي بالغرض مثل الواجب، والحلال، والحرام أو ألفاظ العبادات مثل الصلاة و الصيام ،...ليس الأمر مجرد تغيير لفظ بلفظ بل تجديد الفكر و تطوير الحضارة."[3]**

---

3 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987،ص 24

1 - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987، ص26.

2 - المصدر نفسه، ص ص، 26-27

3 - المصدر نفسه، ص 27

ومن مهام الباحث ايضا اعادة النظر في مستويات التحليل وفي المحاور الحضارة القديمة هذا من أجل اكتشاف التراث كمخزون نفسي لدى الجماهير و اعادة المحاور و البؤر لاكتشاف الانسان و تاريخه " **إذ يضرب بنا المثل للمجتمعات الانسانية التي لا تعرف الزمان ،وترسل إلينا لجان الأمم المتحدة لدراسة أوضاعنا بالنسبة لحقوق الإنسان ، كما أننا خارج التاريخ ،ولا نعلم في أية مرحلة من التاريخ نحن نعيش ،وليس لدينا تراكم تاريخي ، يبدأ كل جيل و ينتهي ثم يبدأ الجيل الثاني كما بدأ الأول من الصفر ،و لايكاد يمر جيلان أو ثلاثة حتى يبدأ القومي في السقوط ، نهبط بمجرد أن نعلو، لقد عمرت نهضتنا الأخيرة أربعة أجيال فحسب قبل أن نشاهد تعثر النهضة وكبوة الاصلاح**"[1]،وعلى الباحث أيضا أن يعيد و يحسن الاختيار بين البدائل القديمة بعد أن تم اختيارها لحسم صراع سياسي لصالح السلطة، يعيد الباحث اليوم اختيارها لصالح الجماهير و ذلك من خلال

الاجتهاد دون تكفير أحدهما على حساب أخرى ، كما يمكنه إيجاد بدائل جديدة لم يطرحها القدماء من قبل.

وأمام هذه المواقف المتباينة في النظر إلى التراث لا يفوتنا بأن نذكر موقف" حسن حنفي" من علم الكلام الذي هو مسطر في الفصل الأول من المجلد الأول للكتابة الضخم من "العقيدة إلى الثورة "والذي حاول فيه أن يقدم فهما جديدا يتماشى مع الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية خاصة غياب الوعي الذي يتمتع به الوعي الذي يتمتع به الإنسان العربي المسلم في ظل نشوة معرفته بالقضاء والقدر وحدود الإدارة الإنسانية تماشيا مع الإرادة الإلهية مما جعله يعطي فهما جديدا يتواجب مع مستجدات الواقع وهذا ما جعله يقول: " **ولأن كثيرا من مآسي عصرنا لهو انتصار الجماهير والجود .... حتى أصبح العصر كله عصر تعايش وارتراق بل إن سلبية الجماهير اليوم قد ترجع إلى أن معظم مظاهر التغيير الاجتماعي في حياتها قد تمت أيضا بفعل الجود والكرم**"[2].

وقد أبرز" حسن حنفي" فشل علم الكلام القديم في توجيه الأمة ويعيب على وقوعهم في التشخيص والتشيؤ في أن الذات تكشف عن الوعي الخالص والصفات تكشف عن المثل

---

[2]- حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الأول، المقدمات النظرية، مكتبة مدبولي للنشر،القاهرة،سنة1988، ص 10

العليا التي يحاول الإنسان تحقيقها في الواقع العلمي وفي هذا الصدد يقول: " **الحقيقة أن موضوع الذات والصفات عند القدماء هو لب التوحيد ووصف الذات الكاملة و أوصافها المطلقة ولكن خطأهم الوقوع في التشخيص والتثبيت والتجهيز والتشيؤ والضمينة والكون والوثيبة في حين أن الذات تكشف عن الوعي الخالص والصفات تكشف عن الأمثل العليا التي يحاول الإنسان تحقيقها في حياته العملية**".[1]

وانطلاقا مما سبق يتبين لنا أن حسن حنفي يرفض الصورة التقليدية لهذه العلوم من منطلق اختيار الأصلح لمتطلبات العصر، وهذا ما عبر عنه في قوله " **لا يوجد مقياس صواب وخطأ نظري للحكم عليها بل لا يوجد إلا مقياس علمي، فالاختيار المنتج الفعال المجيب لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب ولا يعني ذلك أن باقي الاختيارات خاطئة بل يعني أنها تطل تفسيرات محتملة لظروف أخرى وعصور أخرى ولت أو ما زالت قادمة**".[2]

الفصل الأول المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي"

وعلى هذا الأسس تكون قراءة التراث و نقده واعادة بنائه وفق ما يتوافق مع راهنية العصر هو الكفيل الوحيد بتوظيب التراث إيجابيا لبناء الحاضر والتطلع للمستقبل، هي مهمة مشروع " التراث والتجديد" متجاوزا النمط الثلاثي القديم " .

بوسعنا الاستنتاج مما تقدم القول بأن "التراث" يمثل عامل مهم من العوامل التي تقوم عليها حياتنا و في أي حال لا يمكن التجرد منه لأنه ميزة المجتمع الانساني فهو يمثل حاضره و ماضيه و لا يعبر عن معتقدات مقدسة مغلقة و لا هو بناء شكلي ،فارغ ولا هو مجرد شيء مادي محفوظ بل هو " **تمركز الماضي في الحاضر ، يتحول إلى سلطة العقل أو الطبيعة تمد الإنسان بتصوراته للعالم و بقيمه في السلوك و يظهر التراث كقيمة في المجتمعات النامية و هي المجتمعات التراثية التي مازالت ترى في ماضيها العريق أحد مقومات وجودها وفي جذورها التاريخية شرط تنميتها و ازدهارها.**"[3]

موقفه من التراث الغربي

يتضح موقف "حسن حنفي" في الجبهة الثانية من خلال نقده للتراث الغربي ورده إلى حدوده الطبيعية بهدف تأكيد الذات والهوية في ظل عمليات التغريب الممتدة إلى أمته في و

---

[1] - نفس المصدر، ص 67.

[2]- حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة،2000،ص 22.

1 - حسن حنفي، دراسات فلسفية، الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة 1998، بدون طبعة، ص 153.

جدانيتها و ذهنياتها وهذا يتبين من خلال قوله: "**تطوير موقف الانتقاء من الغرب وإكماله بتصور نقدي له ورده إلى حدوه الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية وتحجيم ثقافة المركز من أجل إفساح المجال لتمدد ثقافة الأطراف والخروج عن عزلتها وحصارها وتطويرها تطويرا طبيعيا....وفي نفس الوقت الذي يعلن فيه الوعي الأوروبي نهايته يبدأ وعي جديد في العالم الثالث يتكون ويتشكل، يحمل مثلا جديدة للإنسانية لا تتكسر على حدود الشعوب والأوطان ولا تتحقق بمعايير مزدوجة، بطريقة داخل المركز وبطريقة أخرى خارجه ومن ثم يكون المستقبل كاشفا عن نهاية وعي وبداية وعي آخر، نهاية زيادة لحضارة وبداية لحضارة جديدة**"[1]

إن اهتمام حسن حنفي بالتراث الغربي، قرار كان لابد منه مادام يشكل أحد الروافد الرئيسية للوعي العربي في العصر الحديث والمعاصر، و لهذا يسعى "حسن حنفي" إلى إنشاء "علم الاستغراب " الذي هو جزء من مشروعه النهضة "التراث والتجديد"، يعبر من

خلاله عن موقفه الحضاري و يعقد عليه آمالا كبيرة حتى تنال الأنا شرفها و يعرف الآخر حدوده الثقافية الغربية و يبين " **محليتها بعد أن ادعت العالمية و الشمول و اخراج أوروبا من مركز الثقل الثقافي العالمي و ردها الى حجمها الثقافي الطبيعي في الثقافة العالمية الشاملة .**"[2]

يهدف "حسن حنفي" من خلال هذا القسم إلى إعادة بناء الحضارة الاسلامية و ذلك بتحديد الموقف من التراث الغربي أو الوافد الذي هو جزء من حركة التاريخ وواجب قومي ووطني يؤصل الموقف الحضاري.

موقفه من الواقع (أو نظرية التفسير):

يعتبر هذا القسم الثالث أو الجبهة الثالثة من مشروعه النهضوي الذي يمثل الموقف من الواقع أو نظرية التفسير و يرى حسن حنفي أن " **الموقف من التراث القديم والموقف من التراث الغربي مدخلان حضاريان يعبران عن موقفنا الحضاري اليوم الذي هو مصب للتراثين قديم ومعاصر. إنهما في حقيقة الأمر مصدر واحد من مصادر المعرفة وهو النقد،**

2 - حسن حنفي، هموم الفكر و الوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة 1998، ص ص،460،461.

1 – حسن حنفي،التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة 2000، ص 181.

بصرف النظر عن مصدر النقد من الماضي أو من الحاضر من الأنا أو من الغير. والحقيقة أن الواقع لم يكن غائبا في لموقفين الحاضرين السابقين، فالموقف من التراث القديم، في أحد جوانبه، هو رد التراث إلى الواقع الأول الذي منه نشأ والذي له صيغة خاصة به، ثم عرض التراث على الواقع الحالي، فما اتفق مع مصالحه بقي وتطور، وما نفى هذه المصالح تم إسقاطه ونقده وتلاشيه، والموقف من الغرب أيضا التي نشأ منها، ومعرفة أي مراحله أكثر اتفاقا وجلب نفعا لنا في المرحلة الحالية التي تمر بها، وأيها ابعد عنا وأكثر ضررا، فالواقع حاضر في قلب الحضارة: منه تنشا فكرا وإليه تعود أثرا".[1]

لقد تبين مما سبق أن "حسن حنفي "يريد أن يمنح التراث الغربي والمحلي بعدا واقعيا، فلا يمكن تبريرهما إلا من خلال فهم الواقع أي أنه كلما التراث – عربي إسلامي أو غربي– أكثر إحصاءا لمشاكل الواقع ازدادت فعاليته وحافظ على بقاءه، ومن خلال هذه العلاقة بين التراث والواقع، قد يجتمع الوحي والواقع، الدين والدنيا، الله والإنسان وهذا ما يسميه حسن فهمي بنظرية التفسير وقد مثلت هذه النظرية في مشروعهّ التراث والتجديد" سبيلا رئيسيا في

بناء موقفه الحضاري الذي يعتمد على تفسير الحضارة الإنسانية وإعادة بناءها من خلال الوحي الذي هو المصدر الديني الإلهي." **فالغاية النهائية هو الوحي ذاته وإمكانية تحويله إلى علم إنساني شامل، وهذا لا يتم إلا عن طريق نظرية في التفسير تكون منطلقا للوحي... أن الأفكار البشرية كلها تخضع في الحقيقة إلى نظرية في التفسير، تفسير النص أو تفسير الواقع..... التفسير إذن هو النظرية التي يمكن بها إعادة بناء العلوم والتي يمكن بها تحويل طاقة الوحي إلى البشر، وضبطها في الواقع وتحديد اتجاهها الحضاري بالنسبة للثقافات المعاصرة".**[2]

يريد "حسن حنفي" من خلال هذه النظرية تحويل الوحي إلى علوم إنسانية و الربط بين الواقع والوحي في عضوية واحدة هي الإنسان من خلال إبداعاته ومساهماته في التغيير الإيجابي. فهو يعقد" آمالا كبيرة في نظرية التفسير التي تقوم على منهاج تحليل الخبرات الذي يعود إلى الطبيعة في التفسير أي تفسير طبيعي لا ينطلق من اللغة بل من تحليل الواقعة ذاتها التي تشير إليها النصوص و تحليل الادراكات الحسية ،فالتفسير الطبيعي لا

---

[1] - حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي المربي الأول الذي نظمته الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة الفردية بيروت، ط11985، ط2 1987،مصدر سابق ص ص36-37.

1 - حسن حنفي – التراث والتحديد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة سنة 2000 ص 183، 184.

يبدأ من النص بل من الواقع غايته معرفة تكوين الطبيعة و هو في جوهره المعنى الحسي المشخص للنص ،فالنص و الواقع شيء واحد و النص الديني موقف إنساني و يتحول التفسير الطبيعي للنص إلى التحليل الانساني فيحصل الانتقال من اللفظ إلى الشيء ذاته."[1]

وبناء على ما سبق، تكون فلسفة حسن حنفي معبرة عن موقفه الحضاري بأبعادها الثلاثة التي تقوم على إعادة بناء التراث القديم في الجبهة الأولى وعلى نقد التراث الغربي في الجبهة الثانية، وعلى التنظير المباشر مع الواقع في الجبهة الثالثة، وهذه الفلسفة يغلب عليها الطابع التحليلي النقدي، الذي يظهر في سائر كتاباته وحواراته.

2 - جيلالي بوبكر-التراث والتجديد بين قيم الماضي و رهانات الحاضر، قراءة في فلسفة حسن حنفي وفي مشروعه الحضاري، إربد :عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2011م-1432ها، ص74.

الخاتمة :

يتضح مشروع علم الاستغراب و تتضح معالمه وملامح فلسفته من خلال جهود حسن حنفي في الكتابة و التأليف لجل الأزمة المضطربة بين الأنا والآخر و القضاء على أسطورة الثقافة العالمية الغربية و القضاء على المركزية الأوربية و التفكير الأحادي.

إن هدف حسن حنفي من علم الاستغراب هو علاج و تشخيص القضايا المعاصرة مثل قضية فلسطين و الموقف من الغرب و طبيعة النظم السياسية في العالم العربي بتوجهاتها الأيديولوجية و الأهم من ذلك التوصل إلى صيغة عملية ممكنة التحقق لانتشال الواقع العربي من وهدته و ذلك بإبداع أيدولوجية للإصلاح و التغيير تضع في الاعتبار أفكار و مواقف سائر الاتجاهات الفكرية الموجودة على المستوى القومي.

لقد قام حسن حنفي بدراسة تحليلية نقدية تشمل الوعي الأوروبي و مصادر تفكيره التي صرح وأعلن عنها والتي لم يعلن عنها، فأعطى لهذا المشروع أهمية كبرى حتى تتطور النهضة الفكرية في الوطن العربي وتستطيع أن تواجه الاستشراق والمستشرقين، وقد أكدت سائر دراسات وكتابات حسن حنفي قدرة الفكر العربي والاسلامي المعاصر المحافظة على ذاته واستقلاله و على واقعيته ومعاصرته في آن واحد إذا ما أدى الفكر والمفكر الرسالة المنوطة بهما، والفكر ككيان فعال يتعاطى مع الواقع بسلبياته وإيجابياته والمفكر كشاهد وشهيد إذا ما اعتمد على قراءة الواقع المعاصر وتحليله ونقده والحكم عليه وقراءة الأنا والآخر.كل ذلك من أجل النهوض بوعي مستقيم خلاق وبمعرفة دقيقة ولتجديد الحياة ومواكبة العصر، وإن كانت وجهة نظر حسن حنفي من خلال أطروحته "علم الاستغراب" هي تحويل الآخر غلى موضوع دراسة وبحث ونقد من قبل الأنا فإن هذا يطرح تساؤلا عن إمكانية تحويل البيان النظري إلى مبدأ فعلي وإنجاز في الواقع و الانتقال من عالم الأفكار إلى عالم الملي الاجرائي، كما يمكننا التساؤل أيضا، هل يمكن للمؤسسات الفكرية والثقافية العلمية والهيئات السياسية أن تتبنى مشروع علم الاستغراب فتجسده في الواقع؟ وهل يمكن أن يتحول بيانه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل؟ وإلى أي مدى يمكن لهذا العلم أن تكون له موضوعاته وآلياته ولغته ومناهجه في ظل الاعتبارات الأيديولوجية وأمام التحديات الداخلية والخارجية.

الخاتمة .

إذن يبقى مشروع حسن حنفي مجرد مقدمة فقط نود لو أن هذا العلم يؤخذ في المعاهد والجامعات و الهياكل الثقافية والتربوية حتى يتجسد ميدانيا، ومن زاوية أخرى هل محور الترجمة ومحور نقد الأنا والآخر ورده إلى حدوده هي التي أنتجت الابداع الحضاري في الحضارات السابقة؟ وهل أفكار حسن حنفي وكتاباته تبقى حبيسة السياق النظري المجرد أم ستتحول إلى تطبيقات عملية تغر الواقع المتأزم إلى واقع متفتح قادر على الابداع و صنع القرارات؟.

الفهرس

المقدمة.....أ

الفصل الاول: المسار الفكري للدكتور "حسن حنفي".....ج

المبحث الأول: حياته وأعماله.....1

المبحث الثاني: فكره ومنهجه.....3

المبحث الثالث: مشروعه النهضوي.....17

الفصل الثاني: مشروع علم الاستغراب(دراسة نقدية).....د

المبحث الأول: بين الاستغراب والاستشراق.....32

المبحث الثاني: من جدل الأنا والآخر إلى بناء الإستغراب.....38

المبحث الثالث: آفاق المشروع ورأي المعاصرين فيه.....49

الخاتمة.....61

قائمة المصادر والمراجع.....65